السنة الستُّون

فيها أخذَ معاويةُ بنُ أبي سفيان البيعةَ لابنه يزيد على الوفد الذين وفدوا من البصرة مع عُبيد الله بن زياد حين مرض معاوية.

قال أبو مخنف: لما مرض معاويةُ مرضَه الذي مات فيه؛ دعا ابنَه يزيد، فقال له: يا بنيّ، إني قد كفيتُك الرجال[١]، ووطَّأتُ لك الأشياء، وذلَّلتُ لك الأعداء، وأخضعتُ لك أعناقَ العرب، وإني لا أتخوَّفُ عليك أن ينازعك هذا الأمر الذي استتبَّ إلا أربعةَ نفر من قريش: الحُسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر[٢].

فأمَّا الحُسين؛ فإنَّ أهل العراق لن يَدَعُوه حتى يُخرجوه، فإنْ خرجَ عليك فظَفِرتَ به؛ فاصْفَحْ عنه، فإنَّ له رَحِماً ماسَّة، وحقًّا عظيماً.

وأمَّا ابنُ عمر؛ فإنه رجلٌ قد وقَذَتْه العبادة، وإذا لم يبق أحدٌ غيرُه؛ بايَعك.

وأمَّا الذي يجثُم لك جُثُومَ الأسد، ويراوغُك رَوَغان الثعلب، فإذا أمكَنَتْهُ فُرصةٌ وثبَ، فابنُ الزُّبير، فإن هو فعلَها بك، وأمكنَتْك منه فُرصة وَقَدَرْتَ عليه؛ فقَطِّعْه إرْباً إرْباً.

وأما عبد الرحمن بنُ أبي بكر؛ فليست له هِمَّة إلا في اللهو؛ إذا رأى أصحابَه صنعوا شيئاً صنعَ مثلَه[٣].

ثم مات في رجب، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٢٢، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٠: كفيتك الرحلة والترحال.

(٢) أورد ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٣٩١ الخبر وقال: الصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بسنتين.

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

الباب الثاني في ذكر يزيد بن معاوية

وكنيتُه أبو خالد:

ومات معاوية ويزيدُ غائبٌ عن دمشق، فلما قدم لم يكن له همٌّ إلا بيعةُ النَّفَر الذين سمَّاهم له أبوه، فأقرَّ عُبيدَ الله بنَ زياد على البصرة، والنعمان بنَ بشير على الكوفة، وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عَمرو بن سعيد بن العاص.

فكتب إلى الوليد بن عُتبة كتاباً يعرِّفه فيه بمعاوية؛ يقول: أمَّا بعد، فإن معاويةَ كان عبداً من عباد الله، استخلفَه مدَّةً، فعاشَ بقَدَر، ومات بأَجَل، فرحمه الله، فقد عاش حميداً، ومات فقيداً[١]. والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة: أمَّا بعد، فخذ حُسَيناً، وابنَ عُمر، وابنَ الزُّبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخْصة. والسلام[٢].

وبعث بالكتاب مع عبد الله بن عمرو بن أويس أحد بني عامر بن لؤي، فقرأ الوليد كتاب يزيد بن معاوية وبكى، وترحَّم عليه، ثم استدعى مروانَ بنَ الحَكَم من بيته، وكان منقطعاً عنه؛ لأن الوليدَ لما ولَّاه معاويةُ المدينةَ عزَّ على مروانَ عزلُه عنها، فكان يتردَّد إلى الوليد متكارهاً، وعرفَ الوليدُ ذلك، فنال من مروان عند جلسائه، وبلغ مروانَ، فصارمَه، وأقامَ في بيته.

فلما جاء كتاب يزيد بنعي معاوية والبيعةِ له؛ فَزِعَ الوليدُ، وخافَ من موت معاوية وأخذِ البيعة على من سمَّاهم يزيد، فعند ذلك احتاج إلى رأي مروان، فأحضرَه وقال له: ما الرأي؟ قال: أن تبعثَ الساعةَ إلى هؤلاء النَّفَر فتدعوَهم إلى البيعة، فإنْ بايعوا، وإلَّا فاضربْ أعناقَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فيصير كلُّ واحد منهم إلى قُطْر، فيغلب عليه، ويدعو إلى نفسه، إلَّا ابنَ عمر، فإنَّه لا يرى القتال، ولا الولاية على الناس، إلا أن يُدفعَ إليه هذا الأمر عفواً، أو يدفع عن نفسه[٣].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٣٨: ومات برًّا تقيًّا.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٣٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

فأرسل الوليدُ عبدَ الله بنَ عمرو بن عثمان، فقال: اذهب فائتني بالحسين وابنِ الزُّبير. وعبدُ الله يومئذ غلامٌ حَدَث، فجاء إلى المسجد، فوجدَهما فيه، فقال: إن الأمير يدعوكما. فقالا: انصرف، فنحن نأتيه.

ثم قال ابنُ الزُّبير للحسين: وما يُريدُ منَّا في هذه الساعة التي لم يكن له عادةٌ بالجلوس فيها؟! فقال الحسين: أظنُّ أنَّ طاغيتَهم قد مات، فبعثَ إلينا ليأخذ البيعةَ علينا قبل أن يفشوَ الخبر في الناس. فقال ابن الزُّبير: هو ذلك، فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمعُ مواليَّ وخاصَّتي، وأمضي إليه فأُجلِسُهم على الباب وأدخلُ عليه. فقال: أخافُ عليك. قال: لا تخف.

ثم جمع فتيانه ومواليَه وقال: اقعُدوا على الباب، فإن دعوتُكم، أو سمعتُم صوتي قد علا فادخلُوا[1].

ثم جاء فدخل على الوليد ومروانُ عندَه، وسلَّم وكأنَّه لا يظنُّ أن معاويةَ قد مات، وقال: الصلةُ خيرٌ من القطيعة، والصلحُ خيرٌ من الفساد، وقد آنَ لكما أن تجتمعا، أصلحَ اللهُ ذاتَ بينِكما. فلم يجيباه في هذا بشيء، وألقى الوليدُ إليه كتابَ يزيد وقال: بايِعْ. فقال: مِثْلي لا يبايعُ سرًّا؛ إذا أظهرتَ [موتَ] معاوية[2]، ودعوتَنا علانيةً مع الناس؛ بايَعْنا، وكان الأمر واحداً. فقال له الوليد، وكان يحبُّ العافية: انصرفْ على خِيرة الله تعالى حتى تأتيَنا مع جماعةِ الناس. فقال له مروان: واللهِ لئن فارقَك الساعةَ ولم يبايعْ لا قَدَرْتَ منه على مثلِها حتى تكثرَ القتلى بينكما، مُرْهُ بالبيعة، فإن أبى فاضربْ عنقَه. فوثبَ عند ذلك الحُسين رضي الله عنه وقال: يا ابن الزَّرْقاء، أنتَ تقتلني أو هو؟! كذبتَ واللهِ وأثمتَ.

---

(١) في (خ) (والكلام منها فقط): (فإن دعوتكم فادخلوا وسمعتم صوتي فدعا...) كذا وقع الكلام فيها غير مجوَّد، ووقع فيها أيضاً أخطاء أخرى لم أثبتها لئلا تطول الحواشي بما لا فائدة فيه. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٣٩، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٣، والمثبت مستفاد منه.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي لصحة السياق. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٦، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٣.

ثم خرج الحسين ﷺ إلى بيته، فقال مروان للوليد: واللهِ لا يمكِّنك من مثلها من نفسه أبداً. فقال له الوليد: ويحك يا مروان، اخترتَ التي فيها هلاكُ ديني، واللهِ ما أُحبُّ أنَّ لي ما طَلَعَتْ عليه الشمس وغربَتْ وأني قتلتُ حُسيناً، سبحان الله! أَقتلُ حُسيناً أنْ قال: لا أُبايع! واللهِ إني لا أحسبُ أنَّ امرأً يُحاسَبُ يوم القيامة بدم الحسين إلا خفيفَ الميزان عند الله. وجعل يردّد الكلام. فقال له مروان: أصَبْتَ. وفي قلبه ما فيه[١].

وأمَّا ابنُ الزُّبير؛ فأتى دارَه، فأقامَ بها، فأرسلَ إليه الوليد، وألحَّ عليه، وهو يقول: أَمْهِلُوني. فألحُّوا عليه، وشتمه موالي العبيد وقالوا: يا ابنَ الكاهلية، واللهِ لئن لم تأتِ الأمير، لَيَقْتُلَنَّك.

فبعثَ ابنُ الزبير أخاه جعفراً إلى الوليد، فقال: كُفَّ عن أخي، فقد أفْزَعْتَه، وغداً يأتيك. فكَفَّ عنه، وكان الوليد كافًّا عن الحسين ﷺ.

وخرج ابنُ الزُّبير من ليلته، فأخذ على طريق الفُرْع ومعه أخوه جعفر؛ ليس معهما ثالث، وتجنَّبُوا الطريقَ الأعظم خوفاً من الطلب، وقصدا مكة، فبينا[٢] ابنُ الزبير يُساير أخاه جعفراً تمثَّل جعفر بقول [ابن] نُوَيْرة[٣] الحنظلي:

وكلُّ بني حَوَّا[٤] سَيُمْسُونَ ليلةً ولم يَبْقَ من أعقابِهم غيرُ واحدِ

فقال عبد الله: يا أخي[٥]، ما أردتَ بهذا؟ كأنَّه تطيَّر منه. فقال: واللهِ ما أردتُ إلا الخير، وإنما هو شيءٌ جرى على لساني من غير تعمُّد.

---

(١) ينظر الخبر في المصادر الثلاثة المذكورة.

(٢) في (خ) (والكلام منها): فبدأ، بدل: فبينا، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١.

(٣) في (خ) (والكلام منها): نمرة، والتصويب من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٤، ولفظة «ابن» منه، وهو مُتَمِّم ابن نُوَيْرة، ووقع في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١: تمثل جعفر بقول صبرة...، وبنحوه في «البداية والنهاية» ١١/ ٤٦٨.

(٤) في المصادر المذكورة، وفي «الأغاني» ١٥/ ٣١٢: وكلُّ بني أمِّ. والبيت قاله متمّم في رثاء أخيه مالك بن نُويرة.

(٥) اضطربت العبارة في (خ) (والكلام منها فقط)، فجاء فيها لفظ: فرحم الله عبد الله وقال يا ابن أخي...(؟) وأثبتُّ ما لا بدّ منه للسياق. وتنظر مصادر الخبر المذكورة قبل تعليق.

وكان مخرجُ ابن الزُّبير ليلة السبت لثلاث بقين من رجب، سنة ستين قبل مخرج الحسين رضي الله عنه بليلة، وبعثَ الوليدُ في أثرِه الرجال، فلم يقدروا عليه، واشتغلوا به عن الحسين، فخرَج الحسين رضي الله عنه ليلةَ الأحد بأهله ومواليه وإخوتِه وبني أخيه، وجميعِ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية، فإنه لم يخرج معه وقال له: يا أخي، أنتَ أحبُّ الناسِ كلِّهم إليَّ، وأعزُّهم عليَّ، وأنت أحقُّ بالنصيحة من سائر الناس، تنحَّ ببيعتك[1] عن يزيد بن معاوية عن[2] الأمصار ما استطعت، ثم ابعَثْ رُسُلك إلى الناس، فادْعُهم إلى نفسك، فإنْ بايعوك؛ حَمِدْتَ الله، وإن أجمعوا على غيرك لم يَنْقُصْ ذلك دينَك ولا عقلَك، ولا تذهبُ مروءتُك ولا فضلُك، وإني أخافُ أن تدخل مصراً من الأمصار، أو تأتيَ جماعة من الناس، فيختلفون، فطائفةٌ معك، وأخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأوَّل الأَسِنَّة، فإذا خيرُ هذه الأمة نَفْساً وأباً وأُمًّا أضْيَعُها دماً، وأذلُّها أهلاً! فقال له الحسين رضي الله عنه: يا أخي فإني نازلٌ مكةَ. فقال: نعم، فإن اطمأنَّتْ بك الدار فنَعَمْ، وإنْ نَبَتْ بك؛ لَحِقْتَ بالرِّمال، وشَعَفِ[3] الجبال، وخرجتَ من مكان إلى مكان، حتى تنظر إلى ما يصيرُ أمرُ الناس. فقال: جزاك اللهُ يا أخي خيراً، فلقد نَصَحْتَ وأشْفقْتَ، وأرجو أن يكون رأيُك موفَّقاً إن شاء الله تعالى.

وقال أبو سعيد المَقْبُرِيّ: رأيتُ الحُسين داخلاً مسجد المدينة معتمداً على رجلين، وهو يتمثَّل بقول ابنِ مُفَرِّغ:

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ[4] في فَلَقِ الصُّبْـ ... ـحِ مُغِيراً ولا دُعيتُ يَزِيدا

يومَ أُعْطِي من المَهابَةِ ضَيْماً[5] ... والمنايا يَرْصُدْنَني أن أَحِيدا

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١: بتبعتك.

(٢) في «تاريخ» الطبري: وعن.

(٣) في (خ) (والكلام منها): وشققت الجبال. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١. وشَعَفُ الجبال: أعلاها، جمع شَعَفَة.

(٤) في (خ): لا دعوت السَّوَام، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦١، و ٤/ ٣٣٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٢، وينظر «الأغاني» ١٨/ ٢٥٣ و ٢٨٧. والسَّوام: الإبل الراعية.

(٥) في «أنساب الأشراف»، و«الأغاني»: يوم أعطي مخافة الموت ضيماً.

فقلت في نفسي: والله ما تمثَّل بهذين البيتين إلا لأمرٍ يُريده، فما مكثَ إلا يومين حتى خرجَ إلى مكة.

قال أبو مخنف[١]: ولَمَّا خرج إلى مكة قرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]. ولما دخل مكة قرأ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

ولما خرج الحسين رضوان الله عليه من المدينة لقيه عبدُ الله بنُ مطيع، فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله؟ جُعلتُ فداك، فقال: إلى مكة. فقال له: إياك وأهلَ الكوفة، فإنها مَدَرَة مشؤومة[٢]، قتلَ أهلُها أباك، وخَذَلُوا أخاك، فالحزمَ الحزمَ، فإنك سيِّدُ العرب، ولن يعدلَ بك أهلُ الحجاز أحداً. وسيتداعى الناس إليك من كل جانب، فلا تفارقْ حرمَ الله تعالى، فواللهِ لئن هلكتَ لَنُسْتَرَقَّنَّ بعدَك كلُّنا.

وأما ابنُ الزبير فإنه سبق الحسين إلى [مكة]، وبها عَمرو بنُ سعيد الأشدق، فبعث إليه عَمرو فقال: ما الذي أقدمك؟ فقال: جئتُ عائذاً بالبيت. فكان ناحية عن الناس لا يصلِّي بصلاتهم، ولا يقفُ معهم[٣].

وأقبل الحسين ﷺ بعدَه بيومين، فنزل مكة، وأقبلَ الناس يُهرعون إليه من كلِّ مكان، وابنُ الزُّبير قُدَّامَ البيت يصلِّي عندَه عامَّةَ النهار، ويطوفُ بالبيت، ويأتي الحسينَ ﷺ كلَّ يوم يُسَلِّمُ عليه، وعَمرو بن سعيد كافٌّ عنهما.

وبعث الوليد إلى ابن عمر، فقال له: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناسُ بايعتُ. فتركوه لأنهم كانوا يأمنونه[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٣ .

(٢) جاء في (خ): سوية (؟) بدل: مشؤومة. (والكلام من خ فقط). والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦١، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٥١، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٧ . والمَدَرَة: القرية المبنيّة بالطين واللَّبِن، وهي هنا بمعنى مدينة.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٣٥، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٤٣ .

(٤) المصدران السابقان .

ولما خرجَ ابنُ الزُّبير من المدينة عَمَدَ الوليد بنُ عتبة إلى كلِّ مَنْ كان هواهُ مع ابن الزبير فحبسه، كعبد الله بن مطيع العَدَويّ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وغيرهما، فكلَّمه فيهم ابنُ عمر ﷺ، فأَبى أن يطلقهم[١]، فمضى شيبان العدويّ، فأطلقهم من الحبس، فلحقُوا بابن الزبير[٢].

وفيها عَزَلَ يزيدُ الوليدَ بنَ عُتبة عن المدينة في شهر رمضان، وأمَّر عليها عَمْرَو بنَ سعيد الأشدق[٣].

وسببُ عزله أن مروان كتب إليه يُخبره بما جرى بينَه وبينَ الوليد في أمر الحسين وابن الزُّبير، وكثَّر عليه مروانُ رجاء أن يولِّيَه يزيد المدينة، وكان يزيدُ يكرهُ مروانَ وأولادَه، فولَّى عمرَو بن سعيد، فقَدِمَها في رمضان، وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله ابن الزبير ﷺ يدعُوه إلى البيعة، ويقول: أُذكِّرُكَ اللهَ في نفسك، فإنَّك ذو سِنٍّ في قريش، وقد مضى لك سَلَفٌ صالح، وقَدَمُ صدقٍ من عبادةٍ واجتهاد، فادْخُلْ فيما دخل فيه الناس، ولا تُرْدِهِم في فتنة، فتُحلَّ ما حرَّم الله تعالى. وكتب في أسفل الكتاب:

لو بغيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري[٤]

فلما وقفَ ابنُ الزُّبير على كتابه، كتب إليه: أمَّا بعد، فاجْعَلْها شُورى بين المسلمين. وأغلظَ له في العبارة، وقال: كيف أُبايعُ من يشربُ الخمرَ، ويلعبُ بالقرود، ويأتي أمهات أولاد أبيه؟! ونحو ذلك.

فغضبَ يزيد، وحلف لا يقبلُ له بيعةً حتى يُؤتى به في جامعةٍ[٥]. فقال ابن الزبير: لا أَبَرَّ الله قَسَمَه.

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٢) لم أقف على هذا الكلام في المصادر، ولم أعرف شيبان العدويّ، وتتمة الخبر في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٦ أن ابن عمر انصرف، واجتمع فتية من بني عدي، فانطلقوا حتى اقتحموا على ابن مطيع وهو في السجن، فأخرجوه، فلحق بابن الزبير، ثم رجع بعد فأقام بالمدينة.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٤١، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٤٣، والمنتظم ٥/ ٣٢٤.

(٤) أنساب الأشراف ٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨، والبيت لعدي بن زيد، تمثل به يزيد. وهو في «الأغاني» ٢/ ١١٤.

(٥) أي: غُلّ، يَجمع اليدين إلى العنق.

ولا أَلِينُ لِغيرِ الحقِّ أَسْأَلُهُ[١] حتى يلينَ لِضِرْسِ الماضِغِ الحَجَرُ

وكتب يزيد إلى عمرو بن سعيد: جَهِّزْ جيشاً لغزو ابنِ الزُّبير. وكان الحارثُ بنُ خالد المخزومي على الصلاة بمكة من قِبَلِ عمرو بن سعيد، فمنَعَه ابنُ الزُّبير، فكتبَ الحارثُ إلى عمرو: ابعث لي جيشاً أقاتل ابنَ الزبير.

وكان عمرو بن سعيد لما قَدِمَ المدينةَ ولَّى شُرَطَتَه عمرَو بنَ الزُّبير، لِما كان يعلمُ ما بينه وبين أخيه عبدِ الله من البغضاء، فضربَ عَمرُو بنُ الزُّبير كلَّ من كان يَهْوَى هوى ابنِ الزبير، وكان مِمَّن ضربَ المنذرُ بنُ الزبير، وابنُه محمد بنُ المنذر، وعبدُ الرحمن بن الأسود بن عَبْد يغوث، وعُثمان بنُ عبد الله[٢] بن حكيم بن حِزام، وخُبيبُ بنُ عبد الله ابن الزبير، ومحمدُ بنُ عمَّار بن ياسر، فضربَهم من أربعين إلى خمسين، وهربَ منه عبد الرحمن بن عثمان التميمي، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة.

فاستشار عَمرو بن سعيد [عمرَو] بنَ الزُّبير وقال: مَنْ نُوَجِّهُ إلى أخيك؟ فقال: ما توجِّهُ إليه رجلاً أَنْكَى له مني. فجهَّزه إليه في جمع كثير، وقدَّمَ في مقدِّمته أُنيس بن عَمرو الأسلمي في سبع مئة، فعسكر بالجُرْف.

فجاء مروانُ إلى عَمرو بن سعيد، فقال له: اتَّقِ اللهِ، ولا تَغْزُ مكَّة وتُحلَّ حُرْمَةَ البيت، ودَعُوا ابنَ الزُّبير، فقد أَسَنَّ، وله بضعٌ وستون سنةً، وهو رجلٌ لَجُوجٌ، واللهِ لئن لم تقتلوه لَيموتَنَّ. فقال عَمرو بنُ الزُّبير: واللهِ لنُقاتِلَنَّه ولَنَغْزُوَنَّه في جوف الكعبة على رغم أنفِ مَنْ زعم. فقال مروان: واللهِ إني لَيَسُوؤني ذلك.

وسار أُنيس بن عَمرو الأسلمي حتى نزل بذي طُوى، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأَبْطَح، وأرسلَ عَمرو إلى أخيه عبدِ الله: بُرَّ يمين الخليفة، وتعال أَجْعلْ في عنقك جامعةً من فضة، واتَّقِ اللهَ، ولا تَرْمِ بعض الناس ببعض، فأنتَ في بلدٍ حرام.

وقال عبد الله بن الزُّبير: موعدك المسجد. وأرسلَ عبدُ الله بنُ الزُّبير عبدَ الله بنَ

(١) وقع بدلَ الشطر الأول من البيت في (خ) (والكلام منها وحدها) لفظ: واللهِ لا أَلِينُ لغير الحقّ. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٤، وهو في «الأخبار الطوال» للدينوري ص٢٦٢ بلفظ: ما إن أَلِينُ... وسيُعيده المصنف قريباً مع بيت آخر، وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٤٧٦.

(٢) في (خ): عبد الرحمن، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٤.

صفوان الجُمحي إلى أُنيس من قِبَل ذي طُوى ـ وكان قد اجتمع إلى [ابن] صفوان قومٌ ممن نزلَ حول مكة ـ فقاتَلُوا أُنيس بنَ عمرو فانهزمَ، وأقبلَ عَمرو بنُ الزُّبير، فقاتله جماعةٌ من أصحاب عبدِ الله، فهزمُوه، وتفرَّق عنه أصحابُه، فدخل دارَ علقمةَ، فأتاه عُبيدة بن الزُّبير، فأجارَه، وجاء إلى أخيه عبدِ الله فقال: قد أجَرْتُ عَمراً. فقال له ابنُ الزُّبير: أتُجِيرُ من حقوق الله؟ هذا ما لا يصلح[١].

وروى الواقدي هذه القصة من طريق آخر عن أبي الجَهْم قال: بعثَ يزيد بن معاوية جامعةً من فضَّة، فيها سلسلةٌ من فضَّة، وقال لعمرو بن سعيد: قد حلفتُ لا أقبلُ بيعةَ ابنِ الزبير حتى تجعلَ هذه في عنقه ويُؤتى به إليّ. فلما مرُّوا بهما في المدينة قال مروان متمثّلاً ببيت من شعر العبَّاس بن مِرْداس السّلمي:

فخُذْها فليسَتْ للعزيزِ بخُطَّةٍ ... وفيها مقالٌ لامْرِئٍ مُتَذَلِّلِ[٢]

وقبله بيتٌ آخر، وهو:

أعامرُ إنَّ القومَ ساموكَ خُطَّةً ... ومالَكَ في الجيران عنها بمعدلِ[٣]

ووصل البريد إلى ابن الزُّبير[٤]، فقال: قبَّح اللهُ يزيد الصُّيود، يزيد القُرود والخمور.

وبلَغَه شعرُ مروان، فقال: واللهِ لا كنتُ أنا ذلك المُتَذَلِّل، ارْجِعْ إلى من بَعَثَك خاسراً، لا وَفَى اللهُ بنذره. فقال أبو دَهْبَل الجُمَحِيّ[٥]:

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ (والكلام فيه): من حقوق الناس. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٦، ٤٧٦، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١/ ٢٢٧. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٩: فليست للعزيز مذلّة. وفيه في ٤/ ٣٤٧: فليست للعزيز بسنَّة. وزاد فيه في الموضع الأول رواية: لامرئ متضعِّفِ.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٦: ومالك في الجيران عَذْلُ معذّلِ.

(٤) وقع في (خ) (والكلام منها): ووصل الزبير إلى ابن الزبير بها (؟) وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٩.

(٥) هو وَهْب بن زَمْعَة، من بني جُمح، قال الشعر في آخر خلافة علي ﷺ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير، وولِيَ لابن الزبير بعض أعمال اليمن. مات سنة (٦٣). ينظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٦١٤، و«الأغاني» ٧/ ١١٤.

لا يَجْعَلَنَّكَ في غُلٍّ وسِلْسِلَةٍ كيما يقالُ[١] أتانا وهو مَغْلُولُ
بين الحواريِّ والصِّدِّيقِ ذو نَسَبٍ ضافٍ وسيفٍ على الأعداء مسلولُ

فأنشد عبد الله بن الزُّبير:

إنِّي لَمِنْ نَبْعَةٍ صُمٌّ مَكاسِرُها إذا تناوحتِ القَصْباءُ والعُشَرُ[٢]
فلا أَلِينُ لغيرِ الحقِّ أسألُهُ حتى يلينَ لِضِرْسِ الماضغِ الحَجَرُ[٣]

وذكر بمعنى ما تقدَّم، وأن عبيدة بن الزبير دخل بعمرو على عبد الله بن الزبير وقد قاتلَ قتالاً شديداً وعلى وجهه الدم، فقال له عبد الله: ما هذا الدم في وجهك؟ فقال عَمرو:

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلُومُنا ولكنْ على أقدامنا تَقْطُرُ الدِّما[٤]

فقال عبد الله لعبيدة: أمرتُ أن يجهَّز[٥] هذا الفاسقُ المستحلُّ لِحُرُمات الله.

ثم أقاد عَمْراً من كلِّ من ضربَه إلا المنذر وابنَه، فإنهما أَبَيا أن يستقيدا، ومات عَمرو تحت السِّياط[٦].

ذكر مقام الحسين عليه السلام بمكة ومكاتبات أهل الكوفة إليه:

لما بايع معاويةَ الناسُ ليزيد؛ كان الحسين عليه السلام ممن لم يُبايع له، فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، وهو يأبى عليهم، فقدم منهم قومٌ إلى محمد ابن الحنفيَّة، فسألوه أن يخرج معهم، فأبى، وجاء إلى الحسين رضي الله عنه، فأخبره بما عَرَضُوا[٧] عليه وقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا الدنيا، ويُشِيطُوا دماءنا.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٩: لا يجعلنَّك في قَيْدٍ وسلسلةٍ كيما يقول ...

(٢) النَّبْع: شجر ينبت في قمة الجبل، تُتَّخذ منه القِسيّ والسهام، يقال: فلان صليب النبع، أي: شديد المراس، وهو من نبعة كريمة، أي: ماجد الأصل. وتناوح الشيئان، أي: تقابلا، والقصباء: القصب الكثير، والعُشَر: شجر له صمغ وفيه حُرَّاق يُقتدح به. ينظر «اللسان» و«المعجم الوسيط».

(٣) ينظر «أخبار مكة» ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٦.

(٥) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٦: أمرتُك أن تجبر ....

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٨ ـ ٣٥١.

(٧) في (خ) (والكلام منها): عزموا. و هو تحريف.

فأقام الحسين ﷺ على ما هو عليه من الهموم، مرَّة يُريد أن يسيرَ إليهم، ومرةً يُجمع الإقامة، فجاء إليه أبو سعيد الخُدْري، فقال: يا أبا عبد الله، إني لكم ناصح، وعليكم مشفق، وقد بلغني أنه كاتبك[١] قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج، فلا تخرج، فإني سمعتُ أباك رحمه الله يقول بالكوفة: واللهِ لقد مَلِلْتُهم وأبغضتُهم، وملُّوني وأبغضوني، وما بلوتُ لهم وفاءً، مَنْ فازَ بهم فاز بالسهم الأخيب[٢]، واللهِ ما لهم ثباتٌ ولا عزمُ أمر، ولا صبرٌ على السيف.

وقدِمَ المسيَّب بن نَجَبَة الفَزاريّ وعدَّةٌ معه إلى الحسين عليه السلام بعد وفاة الحسن ﷺ، فدَعَوْه[٣] إلى خلع معاوية، وقالوا: لقد علمنا رأيك ورأيَ أخيك[٤]، فقال: إني لأرجو أن يُعطيَ اللهُ أخي على نيَّتِه في حُبِّه الكفَّ، وأن يُعطيَني [على نيَّتي] في حبِّي جهادَ الظالمين.

وكتب مروان إلى معاوية: إنِّي لستُ آمنُ أن يكون الحسين مَرْصَداً للفتنة، وأظنُّ يومَكم من حسين طويلاً.

فكتب معاوية إلى الحسين: إنَّ مَنْ أعطى اللهَ صَفْقَةَ يمينِه لجديرٌ بالوفاء، وقد أُنبئْتُ أن قوماً من أهل الكوفة قد دَعَوْك إلى الشِّقاق، وأهلُ العراق مَنْ قد جَرَّبْتَ؛ قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتَّقِ الله، واذكرِ الميثاق، فإنك متى تكِدْني أكِدْك. والسلام.

فكتب إليه الحُسين عليه السلام: أتاني كتابُك، وأنا بغير الذي بلَغَكَ [عني] جدير، والحسناتُ لا يهدي لها إلا اللهُ، وما أردتُ لك محاربةً، ولا عليك خِلافاً، وما أظنُّ لي عذراً عند الله في تركِ جهادِك، وما أعلمُ فتنةً أعظمَ من ولايتك أمرَ الأمة، والسلام.

فلما قرأ كتابه معاويةُ قال: إنْ أَثَرْنا بأبي عبد الله إلا أسداً.

---

(١) في (خ): كاتبكم، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٢، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٣٦ .

(٢) تحرفت في (خ) إلى: الأخبث .

(٣) في (خ): فدفعوه، وهو خطأ .

(٤) في (خ): ورأي أخيك فيك. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٢، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٣٧ .

وكتب إليه معاوية: إني لأظنُّ أنَّ في رأسك نزوة، فوددتُ أني أدركتُها فأغفرَها لك.

قال مسافع بن شيبة: لقيَ الحسينُ ﷺ معاويةَ بمكة عند الرَّدْم[١]، فأخذَ بِخِطامِ راحلته، فأناخ به، ثم سارَّه حسين طويلاً وانصرفَ، فزجر معاويةُ راحلتَه، فقال له يزيد: لا يزالُ رجلٌ قد عرضَ لك، فأناخَ بك! فقال: دعه، لعلَّه يطلبها من غيري فلا يسوغُها فيقتله.

ولما احتُضر معاوية؛ دعا يزيدَ، فأوصاه بما أوصاه به، وقال: انظُرْ حُسينَ بنَ عليٍّ ابنَ فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، فإنه أحبُّ الناسِ إلى الناس، فصِلْ رَحِمَه، وارْفُقْ به، يَصْلُحْ لك أمرُه، فإن يكنْ منه شيءٌ؛ فأرجو أن يكفيَك اللهُ بمن قتل أباه، وخذل أخاه[٢].

ولما خرج الحسينُ ﷺ قال له ابن عمر ﷺ: لا تَخْرُجْ، فإنَّ رسول الله ﷺ خيَّرَه اللهُ بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنك بَضْعَةٌ منه، ولا تنالُها. يعني الدنيا. فاعتَنَقَه وبكى. وودَّعه.

فكان ابنُ عمر يقول: غَلَبَنا حُسينٌ على الخروج، ولَعَمْري لقد رأى في أبيه وأخيه عِبْرةً، ورأى من الفتنة وخِذْلانِ الناسِ لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرَّك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخلَ فيه الناس، فإن الجماعةَ خير.

وقال أبو واقد الليثي: لقيتُ حسيناً بمَلَل[٣]، فناشدتُه اللهَ أن يرجعَ، فقال: لا أرجعُ.

وقال جابر بن عبد الله: كلَّمْتُ حُسيناً، فقلت: اتَّقِ الله، ولا تضربِ الناسَ بعضَهم ببعض، فواللهِ ما حُمدتُم ما صنعتم. فعصاني.

وكتب إليه المِسْورُ بنُ مَخْرَمَة ينهاه عن الخروج.

---

(١) في «القاموس»: الرَّدْم: موضع بمكة يُضاف إلى بني جُمَح، وهو لبني قُراد.

(٢) ينظر ما سبق من أول الفقرة في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٢٦ ـ ١٢٨، وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٣) مَلَل، بالتحريك: اسم موضع في طريق مكة بين الحرمين. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ١٩٤.

وكتبت إليه[١] عَمْرَةُ بنتُ عبد الرحمن تُعَظِّمُ [عليه] ما يريد أن يصنع وتقول: أشهدُ بالله لقد حَدَّثَتْني عائشةُ أنها سمعَتْ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُقتلُ الحسينُ بأرض بابل». ولَمَّا قرأ كتابَها قال: فلا بدَّ لي إذاً من مصرعي. ومضى.

وأتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقال له: يا ابن العمِّ، إنَّ الرَّحِمَ تَظْأَرُني عليك[٢]، وما أدري كيف أنا في النصيحة لك عندك؟ فقال: ما أنت بمن يُسْتَغَشّ. فقال: قد رأيتَ ما صنع أهلُ العراق بأبيك وأخيك. ونهاه، فجزاه خيراً. فقال أبو بكر: عند الله نحتسبُ أبا عبد الله[٣].

وأشار عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بمثل هذا، وقال: إنك تسير إلى بلد فيه عمالُ يزيدَ وأمراؤُه، و[معهم] بيوتُ الأموال، وإنما الناس عبيدُ الدرهم والدينار، ولا آمنُ عليك أن يقاتلك مَنْ وعدَك نَصْرَه. فجزاه خيراً[٤].

وكتب إليه عمرُو بنُ سعيد بن العاص: أسألُ اللهَ أن يُلهِمَكَ رُشْدَك، وأن يصرفك عما يُرْدِيك، وقد بلغني أنك قد عزمتَ على الشُّخُوص إلى العراق، وإني أُعِيذُك بالله من الشِّقاق، فإن كنتَ خائفاً، فأَقْبِلْ إليَّ[٥]، فلكَ عندي الأمان والبِرُّ والصِّلة.

فكتب إليه الحسينُ رضي الله عنه: إنْ كنتَ أردتَ بكتابك إليَّ بِرِّي وصِلَتِي[٦]، فَجُزِيتَ خيراً في الدنيا والآخرة، وإنه لم يُشاقِقْ مَنْ دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وخَيْرُ الأمانِ أمانُ الله، ولم يؤمن بالله مَنْ لم يَخَفْه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا تُوجِبُ لنا أمانَ الآخرة عنده.

---

(١) تحرف قوله: «وكتبت إليه» في (خ) إلى: وكتب لابنته.

(٢) أي: تعطفني عليك، ولم تجوَّد الكلمات في (خ) (والكلام منها)، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٦، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤٠. وينظر «البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٤.

(٣) تنظر المصادر المذكورة في التعليق السابق.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) في (خ): عليّ، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢١، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤١.

(٦) في (خ): أن ترى من وصلني، بدل: إليَّ بِرِّي وصلتي، والمثبت من المصدرين المذكورين في التعليق السالف.

وكتب يزيد إلى ابن عباس: أمَّا بعد، فإنَّ ابنَ عمِّك حُسيناً وعبدَ الله بن الزبير [ما] اكترثا ببيعتي[١]، ولحقا بمكة مرصدين للفتنة، متعرِّضين للهلكة، فأمَّا ابن الزبير[٢] فهو صريع القَنا، وقتيل السيف غداً، وأمَّا الحُسين فقد أحببتُ الإعذارَ إليكم أهلَ البيت ممَّا كان منه، وقد علمتُم ما بيني وبينكم من الوُصْلَة وعظيم الحُرْمَة، ووشائج[٣] الأرحام. وقد قطع ذلك حسين وبَتَّهُ، وأنت زعيمُ أهلِ بيتك، وسيِّدُ أهلِ بلادِك، فالقَه، فارْدُدْه عن السعي في الفُرْقة ورَدِّ هذه الأمة في الفتنة، فإن قَبِلَ منك وأنابَ إلى قولك؛ فله عندي الأمانُ والكرامةُ الواسعة، وأُجري عليه ما كان يُجريه أبي على أخيه، وإنْ طلبَ زيادةً فاضْمَنْ له ما أراك اللهُ؛ أُنفِذْ ضمانَك، وأقومُ لك بذلك، وله عليَّ الأَيمان المغلَّظة، والمواثيقُ المؤكدة ما تطمئنُّ به نفسُه وتُعيد عليه. عجِّل جوابي وبكل حاجة لك فلي[٤].

وكتب في أسفل الكتاب:

يا أيها الرَّاكبُ الغادي لِطَيَّتِهِ ... على عُذافِرةٍ في سَيْرها قُحَمُ[٥]
أَبْلِغْ قُرَيشاً على نَأْيِ الزمان[٦] بها ... بني وبين حسينِ اللهُ والرَّحِمُ
ومَوْقفٌ بِفِناء البيتِ أَنْشُدُهُ ... عَهْدُ الإلهِ وما تُوفَى به الذِّمَمُ
غَنَّيْتُمُ قومَكُمْ فخراً بأُمِّكُمُ[٧] ... أُمِّ لَعَمْري حَصانٌ عَفَّةٌ[٨] كَرَمُ
هي التي لا يُداني فَضْلَها أحدٌ ... بنتُ الرسولِ وخيرِ الناسِ قد عَلِمُوا
وفَضْلُها لكُمُ فضلٌ وغيرُكُمُ ... من قومِكُمْ لهمُ في فضلها قِسَمُ

(١) لفظة «ما» بين حاصرتين من عندي، والكلام من (خ) وحدها. ولم أقف على مصدر للخبر.
(٢) في (خ): فابن الزبير، وأثبتُّ العبارة على الجادة.
(٣) جمع وشيجة، يعني القرابة المشتبكة المتصلة. ووقع بدلها في (خ): وساهج. ولعل ما أثبتُّه أقرب إلى الصواب، فقد جاء الخبر مختصراً في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٧، وفيه: فقد قطع واشج القرابة.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) الطَّيَّة: الحاجة والنيَّة، والعُذافرة: الناقة العظيمة الشديدة، والقُحَم: جمع قُحْمَة، وهو الأمر العظيم الشاقّ.
(٦) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٧، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤١: المزار.
(٧) في (خ): فخر أيامكم. وهو خطأ.
(٨) في «البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤١: بَرَّةٌ.

إنِّـي لَأَعْـلَـمُ أوْ ظَـنَّـا كـعـالِـمِـهِ ... والـظَّـنُّ يَـصْـدُقُ أحـيـانـاً فـيـنـتـظِـمُ
أَنْ سـوف يَـتْـرُكُـكُـم مـا تَـدَّعُـونَ بـه[١] ... قتلى تَهادَاكُمُ الغِرْبان[٢] والرَّخَمُ[٣]
يا قومَنا لا تَشُبُّوا الحَرْبَ إذْ سَكَنَتْ ... ومَسِّكُوا بحبالِ السِّلْم واعْتَصِمُوا
قد غَرَّتِ الحَرْبُ مَنْ قَدْ كان قبلكمُ ... مـن الـقـرون وقـد بـادَتْ بـهـا الأُمـمُ
فأنْصِفُوا قومَكمْ لا يَهْلِكُوا بَذَخاً[٤] ... فـرُبَّ ذي بَـذَخٍ[٥] زَلَّـتْ بـه الـقَـدَمُ
لا تـركـبـوا الـبـغـيَ إنَّ الـبـغـيَ مَـصْـرعَـةٌ ... وإنَّ شـاربَ كـأسِ الـبـغـيِ يـنـحـسِـمُ

فكتب إليه ابن عباس: أمَّا ابنُ الزُّبير فرجلٌ ينقطع عنا برأيه يُكاتِمنا أضغاناً يُسِرُّها في صدره، يَرِي علينا وَرْيَ الزِّناد[٦]، لا فَكَّ الله أسيرَها، فطِع[٧] في أمره ما أنت راءٍ.

وأما الحسين فإنه لما قدم مكة سألتُه ما الذي أقدمَهُ؟ وقلتُ: لِمَ تركتَ حَرَمَ جدِّك ومنازلَ آبائك؟ فأخبرني أن عامِلَك وابنَ الحَكَم أساءَا إليه، فأقبلَ مستجيراً بحرم الله، عائذاً ببيته. ولن أدعَ النصيحةَ فيما يجمعُ اللهُ به الكلمةَ ويُطفئُ به النائرة، ويُخمِد الفتنة، ويحقنُ دماء الأمة، فاتَّقِ اللهَ في السِّرِّ والعلانية، ولا تَبِيتَنَّ ليلةً وأنتَ تُريد لمسلمٍ غائلةً، ولا ترصُدْه بمظلمة، ولا تحفر له مهواةً، فكم من حافر جُرْفاً[٨] لغيره أوقعَه اللهُ فيه، وكم من مُؤَمِّلٍ أملاً لم يُؤْتَ ما أَمَّلَه، ولا تشغلنَّك عن الأخرى ملاهي الدنيا وأباطيلُها، فإنَّ كلَّ ما اشتغلتَ به عن الله يضُرُّ ويفنى، وما اشتغلتَ [به] من الأخرى ينفع ويبقى.

---

(١) في المصادر المذكورة آنفاً: بها.
(٢) جمع غراب، وفي المصادر: العِقبان، وهو جمع عُقاب.
(٣) جمع رَخَمة، وهو طائر أبقع يشبه النَّسر في الخِلقة.
(٤) في (خ): الفرحا (؟) والمثبت من المصادر المذكورة قبل.
(٥) في (خ): فرح. والمثبت من المصادر.
(٦) تحرّفت في (خ) (والكلام منها) إلى: الزياد.
(٧) كذا في (خ).
(٨) كذا في (خ)، والجُرْف ما يأكله السيل من الأرض. ولعله استعمل هنا (إن صحت اللفظة) على التوسع، بمعنى الحفرة. أو أنها محرَّفة عن لفظة: جَفْر، وهي البئر التي لم تُطْوَ. وهي بمعنى الحفرة أيضاً.

ودخل عبد الله بنُ عباس على الحسين رضي الله عنه، فكلَّمَهُ ليلاً طويلاً وقال له: أنشدك الله أن تهلك غداً بحالِ مَضْيَعَة[١]، لا تأتِ العراق، وإنْ كنتَ ولا بدَّ فاعلاً؛ فأقِمْ حتى ينقضيَ الموسم، وتلقى الناس، وتعلمَ على ما يَصْدُرون، ثم ترى رأيك.

وكان ذلك في عشر ذي الحجة سنة ستين.

فأبى الحسين، فقال له ابن عباس: واللهِ إني لَأَظنُّك ستُقتلُ غداً بين[٢] بناتك ونسائك؛ كما قُتل عثمانُ بين نسائه وبناته. واللهِ إني لَأخافُ أن تكونَ الذي يُقادُ به عثمانُ، فإنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون. فقال: يا أبا العباس، إنَّك شيخٌ قد كَبِرْتَ، فقال له ابن عباس: لولا أن يُزْرِيَ بي [أو بك] ذلك؛ لَنَشَّبْتُ[٣] يدي في رأسك، ولو أعلمُ أنَّنا إذا تَناصَيْنا[٤] أقمتَ؛ لفعلتُ، ولكن لا إخالُ ذلك نافعي[٥]. أَتَسِيرُ إلى قوم قد نَفَوا أميرَهم، وضبطوا بلادهم لأجلك؟! قال: لا. قال: فإنْ فعلوا ذلك فسِرْ إليهم على بصيرة، وإن كانوا إنما دَعَوْك وأميرُهم قائمٌ، وعمَّالُه تَجْبِي البلاد، وهولُهم قاهر، فهم إنما دَعَوْك للقتال، ولا آمنُ أن يخذُلوك. فقال الحسين: فسر[٦]، وأستخيرُ الله وأنظرُ[٧]، ولَأَنْ[٨] أُقتلَ بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ أَنْ تُسْتَحَلَّ بي. يعني مكة. فبكى ابنُ عباس وقال: أقررتَ عينَ ابنِ الزُّبير.

ثم خرج من عنده وهو مُغْضَب، وابنُ الزُّبير على الباب، فقال له: يا ابنَ الزُّبير: قد أتى ما أحببتَ قرَّتْ عينُك. هذا أبو عبد الله يخرج إلى العراق ويتركُك والحجازَ. ثم قال:

يـا لـكِ مـن قُـبَّـرةٍ بـمَـعْـمَـرِ خـلا لـكِ الـجـوُّ فـبـيـضـي واصْـفِـري

---

(١) المَضْيَعَةُ والمَضِيعةَ: الإهمال، والمفازة المنقطعة يضيع فيها الإنسان وغيره. (المعجم الوسيط).

(٢) تحرف في (خ) إلى لفظ: سبقك غيراً من.

(٣) نشَّب الشيء في غيره: أعلقه به.

(٤) أي أخذ كلٌّ منا بناصية الآخر.

(٥) من قوله: ودخل عبد الله بن عباس على الحسين، فكلمه طويلاً... إلى هذا الموضع، ينظر في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٦، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤٢.

(٦) كذا في (خ) (والكلام منها).

(٧) من قوله: أتسير إلى قوم... إلى هذا الموضع، بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣.

(٨) في (خ): ولئن، والصواب ما أثبتُّه.

ونَـقِّـرِي مـا شِـئْـتِ أَنْ تُـنَـقِّـرِي[١] قـد ذهـبَ الـصـيـادُ عـنـكِ فـابْـشِـرِي
لا بـدَّ مـن أخْـذِكِ يـومـاً فـاصْـبِـرِي[٢]

ودخل ابنُ الزُّبير، فقال له: علامَ عزمتَ؟ فقال: نفسي تحدِّثُني بإتيان الكوفة. فقال له ابن الزُّبير: لو كان لي بها مثلُ ضيعتك[٣] لَمَا عَدَلْتُ عنها.

ثم خافَ ابنُ الزُّبير أن يتَّهمه فقال: لوأقمتَ بالحجاز وأردتَ هذا الأمر ههنا؛ ما خُولفَ عليك[٤]، أقِمْ في هذا المسجد أجمعْ الناس عليك. فقال الحسين: واللهِ لأَنْ أُقْتَلَ خارجاً منها بِشِبْرٍ أحبُّ إليَّ من أَنْ أُقتلَ بها، ولَأَن أُقتلَ خارجاً عنها بشبرين أحبُّ إلي من أن أقتل خارجاً عنها بشبر. ولو كنتُ في جُحْرِ هامَّة؛ لاستخرجوني حتى يقتلوني، ووااللهِ لَيَعْتَدُنَّ عليَّ كما اعتدتِ اليهود في السبت[٥].

ودخلَ عليه ابنُ عباس من الغد[٦]، فقال له: إنِّي لأتخوَّفُ عليك في هذا الوجه البوارَ والاستئصال، إن أهل العراق قومٌ غُدْر، فأقِمْ بهذا البلد، فإنك سيِّد أهل الحجاز، فإنْ كان القوم يريدونك؛ فاكتُبْ إليهم فليَنْفُوا عدوَّهم، ثم اقْدَمْ عليهم، فإن أبيتَ؛ فاخْرجْ إلى اليمن، فإنَّ بها حصوناً وشِعاباً، وهي أرضٌ عريضة، ولأبيك بها شيعة، وأنتَ عن الناس بمعزل، فكاتبِ الناس، وثَبِّتْ دُعاتَك في البلاد، فإني أرجو أن يأتيَكَ الذي تحبُّ. فقال له الحسين رضي الله عنه: يا ابن عمّ، واللهِ إني لَأَعلَمُ نُصحك وشفقتك، ولكن قد أزمعت المسير إلى العراق. فقال له: فإنْ كنتَ سائراً؛ فلا تَسِرْ بنسائك وبناتك وصبيانك، فإني أخافُ أن تُقتلَ كما قُتل عثمان ونساؤه وولدُه ينظرون

---

(١) من قوله: ولأَنْ أُقتل بمكان كذا وكذا... إلى هذا الموضع، في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٨، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٧، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) الرَّجَز لطَرَفَة بن العبد، وهو في «ديوانه» ص٤٦، وفيه: لا بدَّ أن تُصادي يوماً فاصبري .

(٣) الكلام بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣، وفيه: شيعتك .

(٤) من قوله: ودخل ابن الزبير... إلى هذا الموضع، بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣ .

(٥) من قوله: أقم في هذا المسجد... إلى هذا الموضع، بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٥ .

(٦) هذا هو الدخول الثاني لابن عباس على الحسين رضي الله عنهما، كما في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣ . وأمَّا في رواية ابن سعد ٦/ ٤٢٧-٤٢٨ فإنه دخل عليه مرة واحدة. وسلفت الإحالة عليه قريباً.

إليه[١].

فلما رآه لا يُصغي إلى نصحه ولا يلتفتُ إلى قوله؛ خرج من عنده وهو يقول: واحسيناه.

وكتب إليه عبد الله بن جعفر يقول: أَنْشُدُكَ اللهَ أن لا تُفارق مكة حتى أصل إليك، فإن هلكتَ طَفِئَ نورُ الإسلام، واستُؤْصل أهلُ بيتك، وأنتَ عَلَمُ الهدى، ورجاء المؤمنين، لا تعجل فأنا قادم[٢].

وبعث بالكتاب مع ابنيه عون ومحمد. فوقف على الكتاب ولم يُجب عنه.

وبعثَ الحسين رضي الله عنه إلى المدينة، فقدم عليه من خفَّ معه من بني عبد المطلب، وهم تسعة عشر رجلاً، ونساءٌ وصبيانٌ من بناته وأخواته، وتبعهم محمد بن الحنفية، فأدرك حسيناً بمكة، ونهاه فلم يقبل، فحبس محمدٌ ولدَه عنه، ولم يبعَثْ معه أحداً منهم، فغضب الحسين وقال: ترغبُ بولدك عن موضع أُصابُ فيه؟ فقال محمد: وما حاجتي تصابُ ويصابون معك؟ وإن كانت مصيبتُك أعظمَ عندنا منهم، واللهِ إني لَأُحبُّ لك ولهم العافية[٣].

وبعث أهلُ العراق إلى الحسين رضي الله عنه الكُتب والرسل يستحثُّونه، فخرج مسرعاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة، وذلك يوم الاثنين في عشر ذي الحجة [سنة ستين].

وكتب مروان إلى عُبيد الله بن زياد: أمَّا بعد، فإن الحسين قد توجَّه إليك، وهو ابنُ فاطمة بنتِ رسولِ الله ﷺ، ووالله ما أحدٌ يسلِّمُه اللهُ أحبَّ إلينا من الحسين، فإيَّاك أن تُهيِّج على نفسك مالا يسدُّه شيءٌ ولا تنساه العامَّة ولا تدع ذكره، والسلام.

---

(١) بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ . وسلف نحوُه قريباً من «طبقات» ابن سعد. وقد جمع المصنف هنا الروايات من المصادر. وينظر أيضاً «مروج الذهب» ٥/ ١٢٩-١٣١ .

(٢) الخبر بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، والبداية والنهاية ١١/ ٥٠٧، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٣ دون قوله: والله إني لأحبُّ لك ولهم العافية .

وكتب إليه عمرو بن سعيد: أمَّا بعد، فإنَّ الحُسين قد توجَّه إليك، وفي مثلها تُعتَق أو تُسْتَرَقّ[١].

ولما خرج الحسين ﷺ لقي عِيراً من التنعيم قد أقبلوا بها من اليمن إلى يزيد بن معاوية من بَحير بن رَيْسان الحِمْيري عاملِه على اليمن، وعليها وَرْسٌ وطِيب، فأخذ ما عليها الحسين ﷺ، وأوفاهم كِراءها، وأخذ بعضَهم معه إلى العراق، فأحسنَ إليهم[٢].

وقال الفرزدق: خرجْنا حُجَّاجاً؛ فلما كنَّا بالصِّفَاح[٣]؛ إذ بركبٍ عليهم اليلامق[٤]، ومعهم الدَّرَق، فلما دنوتُ منهم، إذا أنا بالحسين بن علي، فقلت: أبو عبد الله! فقال: يا فرزدق، ما وراءَك؟ قلت: أنتَ أحبُّ الناس إلى الناس، والقضاء في السماء[٥]، والسيوفُ مع بني أميَّة[٦].

قال يزيد الرِّشْك: حدَّثني من شافَهَ الحسين[٧] قال: رأيتُ أبنيةً بفلاةٍ من الأرض مضروبةً، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: للحسين. فأتيتُه، فإذا شيخٌ يقرأ القرآن ويبكي، ودموعُه تسيل على خَدَّيْه، فقلت: بأبي أنتَ وأمِّي! ما أنزلك هذه البلاد؟ فقال: هذه كُتبُ أهلِ الكوفة إليّ، ولا أُراهم إلا قاتلي، فإنْ فعلوا ذلك؛ لم يَدَعُوا للهِ حُرْمَةً إلا انتهكوها، فيسلِّطُ الله عليهم من يُذِلُّهم حتى يكونوا أَذَلَّ من فَرَمِ الأَمَة[٨].

وقد كان الحسين ﷺ قَدَّمَ مسلم بنَ عَقِيل [بن أبي طالب] إلى الكوفة، وأمره أن ينزل على هانئ بن عروة المُرادي، وينظرَ إلى اجتماع الناس إليه، ويكتب إليه بخبرِهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٢٩، والبداية والنهاية ١١/ ٥٠٧، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٣، وما سلف بين حاصرتين منها.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٧ و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٣) موضع بين حُنين وأنصاب الحرم (حُدودِه). معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

(٤) جمع يلمق، وهو القباء (ثوب يُلبس فوق الثياب). معرَّب.

(٥) في (خ): والقضاء في القضاء. والمثبت من المصادر الآتية.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٢٩، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٤. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٨.

(٧) في (خ): الخبر، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣١.

(٨) بعدها في «طبقات» ابن سعد: يعني مِقْنَعَتَها. اهـ وهي ما تغطي به رأسها.

فقدم[١] مسلم الكوفةَ مستخفياً، وأتَتْه الشيعةُ، فأخذ بيعتهم، وكتب إلى الحسين بن عليّ: قد بايَعَني منهم ثمانيةَ عشرَ ألفاً، فَعَجِّلِ القُدوم، فليس دونها مانع.

فلما جاءه كتابُ مسلم أَغَذَّ[٢] السير حتى انتهى إلى زُبالة[٣]، فجاءت رُسُل أهل الكوفة إليه بديوانٍ فيه أسماء مئة ألف.

وكان النُّعمان بنُ بشير على الكوفة، ومات معاوية وهو عليها، فخاف يزيد أن لا يُقْدِمَ النُّعمان على الحُسين رضي الله عنه، فكتب إلى ابنِ زياد، فضمَّ إليه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه بإقبال الحسين رضي الله عنه إليها. فإن كان لك جناحان فَطِرْ حتى تسبقَه إليها.

فأقبل عُبيد الله مسرعاً، فدخلَ الكوفة، فلما رأَتْه السَّفِلَةُ وأهلُ السوق، خرجوا يشتدُّون بين يديه وهم يظنون أنه الحسين رضي الله عنه، لأنهم كانوا يتوقَّعُونه، وكان عُبيد الله ابنُ زياد متلثِّماً، فجعلوا يقولون: أهلاً بك يا ابن رسول الله، الحمدُ لله الذي أرانا إياك، ويُقَبِّلُون يده ورجله. فقال عُبيد الله بن زياد: لشدَّ ما فَسَدَ هؤلاء.

ثم دخل ابنُ زياد المسجد، فصلَّى ركعتين، وصَعِدَ المنبر، وكشف عن وجهه، فلما رآه الناسُ؛ مال بعضُهم على بعض وأَقْشَعُوا عنه[٤].

وبنى عُبيد الله في تلك الليلة بأمِّ نافع بنت عُمارة بن عقبة بن أبي مُعَيْط، وأُتيَ في تلك الليلة برسولٍ قد كان أرسله الحسين إلى مسلم بن عَقِيل يقال له: عبدُ الله بنُ بُقْطُر[٥]، فقتلَه.

وكان قدم مع عُبيد الله بن زياد من البصرة شريك بن الأعور الحارثي، وكان شيعةً لعليّ عليه السلام، فنزل على هانئ بن عروة، فاشتكى شريك، فأتاه عُبيد الله يعودُه في منزل هانئ، وكان يتردَّدُ إليه، ومسلم بنُ عَقِيل هناك لا يعلم به. فهيَّؤوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً يقتلونه، فدخل عُبيد الله، فَجَبُن القومُ عنه، فجعل شريك يقول:

---

(١) في (خ) (والكلام منها): بقدوم. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣١ .

(٢) في (خ): أعدل، والمثبت من «الطبقات».

(٣) بضم الزاي: منزل بطريق مكة من الكوفة. سُميت بذلك بزَبْلِها الماء، أي: بضبطها له، وأخذها منه. معجم البلدان ٣/ ١٢٩ .

(٤) أي: تفرَّقوا عنه .

(٥) وزن عُصْفُر. (القاموس) .

ما تنظرون بسلمى أن تُحيُّوها

اسْقُوني شربة ماء ولو كانت فيها نفسي. فقال عُبيد الله: ما يقول؟ قالوا: يَهْجُر[١]. وتَحَشْحَشَ[٢] القوم في البيت، وأنكر عُبيد الله ما رأى منهم، [فوثب][٣] فخرج، ودعا مولًى لهانئ بن عُروة ـ وكان في الشرطة ـ فسأله، فأخبره الخبر، فمضى حتى دخلَ القصر، وأرسل إلى هانئ بن عروة وهو يومئذٍ ابنُ بضع وتسعين سنة، فقال: ما حملك على أن تُجير عدوِّي؟ قال: يا ابن أخي، إنه جاء حقٌّ هو أحقُّ منك ومن أهل بيتك. فوثب ابنُ زياد وفي يده عَنَزَة[٤]، فضربَ بها رأس هانئ حتى نثرَ دماغه، وقتله.

وبلغ الخبرُ مسلمَ بنَ عَقِيل، فخرج في نحو أربع مئة من الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحوٍ من ستين رجلاً[٥]، وجاء الليل فهرب مسلمٌ، فدخل على امرأة من كِنْدة، يقال لها: طَوْعَة، فاستجار بها.

وعلم به محمد بنُ الأشعث بن قيس، فأخبرَ به ابنَ زياد، فبعث إليه، فأتِيَ به، فأنّبه وبكَّتَه، وأمرَ بقتله. فقال: دعني حتى أوصي. قال: نعم. فنظر إلى عُمر بن سعد بن أبي وقَّاص، فقال له، إن لي إليك حاجةً، وبيني وبينك رَحِمٌ. فقال له عُبيد الله: انظر في حاجة ابنِ عمِّك. فقام إليه فقال: يا هذا، إنه ليس ههنا رجلٌ من قريش غيرُك، وهذا الحُسين بن علي قد أظلَّك، فأرْسِلْ إليه رسولاً، فلينصرف، فإن القوم قد غرُّوه وخَدَعُوه وكذَّبوه، وإنه إن قُتل لم يكن لبني هاشم بعده نظام، وعليَّ دَيْنٌ أخذتُه منذ دخلتُ الكوفة، فاقْضِه عني، واطْلُب جُثَّتي من ابنِ زِياد، فوارِها.

فسأله ابنُ زياد: ما قال لك؟ فأخبره عمر، فقال: أما مالُك فهو لك لا نمنعُك منه، وأمَّا حسين؛ فإنْ تَرَكَنا لم نُرِدْه، وأمَّا جُثَّتُه؛ فإذا قتلناه لم نبالِ ما صُنع به. ثم أمر به فقتل.

---

(١) أي: يهذي.

(٢) أي: تحركوا للنهوض.

(٣) ما بين حاصرتين من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٢، والكلام منه.

(٤) العَنَزَة: أطول من العصا، وأقصر من الرُّمح، في أسفلها زُجٌّ (أي حديدة) كزُجّ الرمح.

(٥) بعدها في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٣ (والكلام منه): فغربت الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد، وكثَرَهم أصحاب عُبيد الله بن زياد ...

فقال عبد الله بن الزَّبِير الأسدي، وقيل: ابن همَّام السَّلُولي[١]:

فتًى هو أَحْيَا من فتاةٍ حَيِيَّةٍ ... وأَقْطَعُ من [ذي] شفرتين صَقِيلِ
فإنْ كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظُري ... إلى هانئٍ في السوقِ وابنِ عقيلِ
تَرَيْ جسداً قد غَيَّرَ الموتُ لونَهُ ... ونَضْحَ دمٍ قد سالَ كلَّ مَسِيلِ
أصابَهما أمرُ الأميرِ[٢] فأصْبَحا ... أحاديثَ مَنْ يَهْوِي[٣] بكلِّ سبيلِ
تَرَيْ بطلاً قد هَشَّمَ السيفُ رأسَهُ ... وآخرَ يهوِي من طَمارِ قتيلِ
أيركبُ أسماءُ الهمالِيجَ[٤] آمناً ... وقد طلبَتْهُ مَذْحِجٌ بقتيلِ[٥]
فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ ... فكونوا بغايا أُرْضِيَتْ بقليلِ

طَمار: هو المكان المرتفع، وأسماء: هو ابنُ خارجة الفَزَاري؛ كان ابنُ زياد بعثه وعَمرو بن الحجاج الزّبيدي إلى هانئ، فأعطياه العهودَ والمواثيق، فأقبلَ معهما، فغَدَرَ به ابنُ زياد، فقتلَه.

وقضى عُمر بنُ سعد دَيْنَ مُسلم بن عَقِيل وكفَّنَه ودفنَه، وبعث رجلاً إلى الحسين رضي الله عنه، فحمله على ناقة، وأعطاه نفقةً، وأمرَه أن يبلِّغه ما قال مسلم، فلحقَه على أربع مراحل، فأخبره.

وبعث عُبيد الله بنُ زياد رأس مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة إلى يزيد بن معاوية.

وبلغ الحسينَ رضي الله عنه قتلُ مسلم وهانئ، فقال له ابنه علي الأكبر: يا أبه، ارْجِعْ، فإنهم أهلُ العراق وغَدْرُهُمْ، فلا يَفُون لك بشيء. فقال بنو عقيل: ليس هذا بحين رجوع. وحرَّضُوه على المُضِيّ. فقال حسين لأصحابه: قد تَرَوْن ما يأتينا، وما أرى القومَ إلا سيخذُلُوننا، فمن أحبَّ منكم الرجوع فليرجع. فرجع عنه قوم صاروا إليه في طريقه، وبقي معه أصحابُه الذين خرجوا معه من مكة؛ فكانت خيلُهم اثنتين وثلاثين فرساً.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٨٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٩: ويقال للفرزدق. وابن همَّام السَّلُولي اسمُه عبد الله. ينظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٦٥١.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٨٢: أمر الإله.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٠: يسري.

(٤) جمع هَمْلَج، وهو من البَراذين.

(٥) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٠: بذُحول.

وكان حسين بنُ علي ﷺ قد وجَّه قيسَ بن مسهر[١] الأسديَّ إلى مسلم قبل أن يبلغَه قتلُه، وكان [ابنُ] زيادٌ قد وجَّه حُصين بنَ تميم الطُّهويّ إلى القادسية في جيش وقال: مَنْ أنكرتَه فَخُذْه، فأخذ قيسَ بنَ مُسْهِر، وبعثَ به إلى ابن زياد، فقال له ابنُ زياد: قد قتل الله مسلماً، فقُمْ في الناس، فاشتم الكذَّاب ابن الكذَّاب. يعني حسيناً ﷺ. [فصعد قيس المنبر] وقال: أيُّها الناس، إني تركتُ الحسينَ بنَ علي بالحاجر[٢]، وأنا رسولُه إليكم، وهو يستنصرُكم. فأمرَ به ابنُ زياد، فطُرح من فوق القصر فمات[٣].

وقال البلاذُري[٤]: إن هذا الرسول عبدُ الله بنُ بُقْطُر، وكان أخاً لحسين ﷺ من الرَّضاعة، ولما قال له ابن زياد: اصعد فالعَنْ الكذَّاب، فصعد على أعلى القصر وقال: قد أقبلَ إليكم ابنُ رسولِ الله ﷺ لتنصروه على الدِّعيّ ابنِ الدَّعيّ [ابن] مَرْجانَة[٥] لعنه الله ولعنَ أباه ومَنْ ولَّاه. ثم ألقى نفسه من القصر[٦]، فتكسَّرت عظامُه وبه رَمَق، فجاء رجلٌ فذبَحَه، فقيل له: عَجِلْتَ عليه! فقال: أردتُ أَنْ أُرِيحَه.

ووجَّه الحُصَيْنُ بنُ تميم الحرَّ بنَ يزيد اليربوعي[٧] إلى الحسين ﷺ في ألفين[٨] وقال: سايِرْهُ ولا تَدَعْهُ يرجع حتى يدخل الكوفة، وجَعْجِعْ به[٩].

---

(١) في (خ): مسلم، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٥. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٠.

(٢) بالجيم والراء: موضع قبل معدن النَّقرة (من منازل حاجّ الكوفة). والحاجر في لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٢٠٤ و ٥/ ٢٩٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٣٢ ـ ٤٣٥. وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧١، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧١.

(٥) تحرَّف لفظ: مَرْجانة في (خ) (والكلام منها) إلى: من خانه. ومَرْجانة هي أمُّ عُبيد الله بن زياد، وزدتُ لفظة «ابن» بين حاصرتين لضرورة السياق، والكلام بنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧١.

(٦) كذا وقع في (خ) والكلام منها وحدها. والذي في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧١: فأمر به، فأُلقي من فوق القصر ...

(٧) في (خ): ووجَّه ابنُ زياد الحصين بن الحسر اليربوعي (؟) والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٥ والكلام منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

(٨) في «الطبقات» و«أنساب الأشراف»: في ألف.

(٩) أي: أزْعِجْه.

وجاء الحسين رضي الله عنه، فأخذ بطريق العُذَيْب[١]. حتى نزلَ الجَوْف مسقط النَّجف، ثم نزل قصر أبي مقاتل، فخفقَ خَفْقَةً، ثم انتبه يسترجع وقال: إني رأيتُ في المنام آنفاً فارساً يُسايِرُنا ويقول: القوم يسيرون والمنايا تسري[٢] إليهم، فعلمتُ أنه نَعَى إلينا أنفسنا. ثم سار حتى نزل كَرْبَلاء، فقال: أيُّ منزلٍ هذا؟ فقالوا: كَرْبَلاء، فقال: كَرْبٌ وبلاء.

وقال أبو مخنف: لما خرج الحسين رضي الله عنه اجتمع[٣] أشرافُ الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صُرَد، فقال لهم سليمان: إن معاوية قد هلك وأقام ابنَه، وقد امتنعَ الحسين من بيعته، فإنْ كنتم تنصرونه فاكتبوا إليه، وإن خفتُم الفشل فلا تغرُّوه. فقالوا: لا، بل نقاتلُ عدوَّه ونَقْتُلُ أنفسَنا دونَه. فقال: اكتبوا إليه. فكتبوا:

بسم اللّه الرّحمن الرحيم، إلى الحسين بن علي من سليمان بن صُرَد، والمسيّب بن نَجَبَة، ورِفاعة بن شدَّاد، وحبيب بن مُظاهر، وشِيعتِه من المؤمنين من أهل الكوفة، سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإنَّا نحمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، والحمدُ لله الذي قَصَمَ عدوَّك الجبَّار الذي انْتَزَى[٤] على هذه الأمة، وابتزَّها أمرَها وغَصَبَها فَيْئَها، وتأمَّرَ عليها بغير رضًى منها، ثم قتل خيارَها، واستبقى شرارها، وجعلَ مالَ الله دُولاً بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بَعِدَتْ ثمود، وإنه ليس علينا إمام، فأقْبِلْ إلينا، لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، وإن النعمان بن بشير في القصر، لسنا نُصلِّي معه، ولا نخرج معه في عيد، لو بَلَغَنا أنك قد أقبلتَ إلينا؛ أخرجناه حتى ألحقناه بالشام، والسلام.

وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهلالي، وعبد الله [بن وال][٥].

قال: فخَرَجَا مسرعَيْن حتى قدما[٦] مكة لعشرٍ مَضَيْن من شهر رمضان، فلما كان بعد أيام بعثوا إلى الحسين رضي الله عنه قيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الرحمن بن عبد الله

(١) هو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. معجم البلدان ٤/ ٩٢.

(٢) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٥: يشرون... تشري ...

(٣) في (خ): اجتمع إليه، وهو خطأ. ويورد المصنف هنا خبر مسلم بن عقيل برواية أُخرى أطول من سابقتها.

(٤) في (خ): انتزل، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٢، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٥٢.

(٥) مابين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٢، ووقع بياض مكانه في(خ). وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٢.

(٦) في (خ): خرجنا... قدمنا... وهو خطأ، وينظر المصدران السالفان.

الأَرْحَبي[١]، وعُمارة بن عَبْد[٢] السَّلُولي، ومعهم نحوٌ من مئة وخمسين صحيفة[٣]، ثم لَبِثُوا أياماً، وبعثُوا إليه هانئ بن هانئ السَّبِيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبوا معهما كتاباً مضمونه: أما بعد، فَحيَّهَلَا، والعجلَ العجلَ، والوَحا الوَحا[٤]، فإنَّ الناس ينتظرونك، لا رَأْيَ لهم في غيرك، والسلام.

وكتب إليه شَبَثُ بنُ رِبْعيّ، وحجَّار بنُ أَبْجَر، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُويم[٥]، وعَزْرَةُ بنُ قيس، وعَمرو بن حجَّاج الزبيدي، ومحمد بن عُمير التميمي: أمَّا بعد، فقد اخْضرَّ الجَناب، وأينعت الثمار[٦]، فإن شئتَ فاقْدَمْ على جندٍ لك مجنَّد، والسلام.

واجتمع الرسل كلُّهم عنده بمكة، فكتب الحسين رضي الله عنه إليهم مع ابن هانئ السَّبِيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخِرَ الرسل إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمَّا بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخِرَ من قدمَ عليَّ من رسلكم، وقد فهمتُ ما قد ذكرتُم من أقوالكم، وقد بعثتُ إليكم أخي وابنَ عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرتُه أن يكتب إليَّ بما أجمعَ عليه ملأكم، وذَوُو الحِجا منكم، وأهلُ الفضل، فإنْ كتبَ إليَّ أنه قد اجتمع رأيُ ملئكم على ما قَدِمَتْ به رسلُكم ونَطَقَتْ به كتبُكم؛ قدمتُ عليكم وشيكاً إنْ شاء الله، ولَعَمْرِي ما الإمام إلا القائل بالكتاب[٧]، القائم بالقسط[٨]، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام.

---

(١) في (خ): الرحبي، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٢، وسيرد على الصواب.

(٢) في «تاريخ» الطبري: عبيد.

(٣) في «تاريخ» الطبري: ثلاثة وخمسين صحيفة.

(٤) أي: السرعةَ السرعةَ، يمدُّ ويُقصر. ينظر «النهاية».

(٥) في (خ): آدم، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٣، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٣، وكذلك تحرَّف في (خ) شبث، إلى: شبيب، وأبجر، إلى: الخبر، وتحرف أيضاً عزرة (الآتي) إلى: عروة.

(٦) بعدها في المصدرين السابقين: وطَمَّت الجِمام.

(٧) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٢: العامل بالكتاب.

(٨) في «تاريخ» الطبري: الآخذ بالقسط.

وبعث إليهم بمسلم بن عقيل، فسرَّحَه مع قيس بن مسهر الصَّيداوي، وعُمارة بن عَبْد[١] السَّلُولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأَرْحَبي، وقال: اكتُمْ أمرَك، فإن رأيتَهم مجتمعين إلى ما كُتبَ إليّ، فعرِّفني.

فسار مسلم حتى قدم الكوفة[٢]، فنزل في دار المختار بن أبي عُبيد، وهي تُعرف اليوم بدار مسلم بن المسيّب، وأقبلت إليه الشيعة، فقرأ عليهم كتاب الحسين ﷺ، فبَكَوْا، وأجابوا بالسمع والطاعة.

وشاع خبرُه، فقام النعمان بن بشير على المنبر، وقال: اتقوا الله عبادَ الله، ولا تُسارعوا إلى الفتنِ وسَفْكِ الدماء.

وكان النعمان حليماً يحبُّ العافية. ثم قال: إني لا أُقاتلُ من لا يُقاتلُني، ولا أَثِبُ على من لا يثبُ عليّ، ولا أُنبِّه نائمَكم، ولا أتحرَّشُ بكم، ولا آخُذُ على الظِّنَّة والتُّهمة، إلا إنْ أبديتُم صفحتَكم ونكثتُم بيعتَكم، وخالفتُم إمامَكم، فواللهِ لأَضْرِبَنَّكم بسيفي ما ثبتَتْ قائمتُه في يدي.

فقام إليه عبد الله بن [مسلم بن سعيد][٣] الحضرمي، فقال: إنه لا يصلحُ ما ترى إلا القصمُ[٤]، والذي أنت عليه مما بينك وبين عدوِّك رأيُ المستضعفين. فقال النعمان: لأَنْ أكونَ من المستضعفين في طاعة الله أحبُّ إليَّ من أن أكونَ قويّاً في معصية الله، واللهِ لا هتكتُ ستراً ستره الله. ثم نزل.

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٤: عُبيد.

(٢) في الكلام اختصار، وقبله في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٤ أن مسلم بن عقيل أتى المدينة، فصلى في مسجد النبي ﷺ وودَّع من أحبَّ من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلّا الطريقَ، وأصابهم عطش شديد، فماتا، فكتب مسلم إلى الحسين ﷺ يستعفيه من ذلك، ويرسل غيره، فلم يقبل الحسين منه ذلك، وأمره أن يمضي لما وجّهه إليه، فسار مسلم حتى قدم الكوفة... وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٣.

(٣) ما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٦، ووقع في (خ) بدلاً منه كلمة رسمها: ممل.

(٤) في «تاريخ» الطبري: الغشم.

فكتب عبدُ الله بنُ مسلم هذا إلى يزيد ـ وكان حليفاً لبني أمية ـ يقول: قد قدم مسلمُ ابنُ عَقِيل الكوفةَ وقد بايعه شيعةُ الحسين، فإنْ كان لك في المصر حاجة فابعَثْ إليه رجلاً قوياً، فإن النعمانَ ضعيف.

وكتب إليه جماعةٌ، منهم عُمر بن سعد بن أبي وقَّاص، وعُمارة بن عقبة بن أبي مُعَيْط، فاستشار يزيدُ سَرْجُون مولى معاوية، وأخبرَه الخبر فقال له: أرأيتَ معاوية لو نُشِرَ، أَكُنتَ آخذاً برأيه؟ قال: نعم. فأخرج عهدَ عُبيد الله بن زياد على الكوفة، وكان معاوية قد كتبَه، وأخفاه يزيد[1]؛ لأنه كان متخوِّفاً من عُبيد الله.

فدعا يزيدُ مسلمَ بنَ عمرو الباهلي، وبعثَ بعهده معه.

وكان الحسين رضي الله عنه قد كتبَ إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة كتاباً نسخته واحدة، إلى الأحنف بن قيس، ومالك بن مِسْمَع البكري، والمنذر بن الجارود، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عُبيد الله بن معمر، وهؤلاء أشراف البصرة، كما كتب إلى أشراف الكوفة، وبعثَ بالكتاب مع مولًى لهم يقال له: سليمان، وفيه: إن الله بعث محمداً بالحقّ، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبضَه إليه، وكنَّا أهلَه وعشيرتَه وورثتَه وأحقَّ الناس به، فاستأثرَ قومُنا علينا ميراثَ جدِّنا، فكرهنا الفُرْقَة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنَّنا أحقُّ بذلك الحقِّ منهم وممَّن تولَّاه، وأنا أدعُوكم إلى كتاب الله وسنَّةِ رسوله، فإن السنَّة قد أُميتَتْ، والبِدَعَ قد أُحْيِيَتْ، وبعثتُ بكتابي مع رسول، فاسمعوا وأطيعوا أهدِكُمْ سبيلَ الرشاد. والسلام.

فكتم القومُ أمرَ الكتاب إلا المنذر بن الجارود[2]، فجاء بالكتاب والرسولِ إلى ابنِ زياد في الليلة التي يريد أن يسير في صُبْحها إلى الكوفة. فضربَ عنقَ الرسول، وصَعِدَ المنبر فخطب، وقال: يا أهل البصرة، ماأنا مِمَّن يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان[3]، وإني لمنكل

(١) كذا في (خ)، والذي أخفى الكتاب سرجون مولى معاوية، وبه يستقيم السياق. ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٢٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٦ .

(٢) في (خ): زياد، بدل الجارود. وهو خطأ .

(٣) القعقعة: صوت الشيء الصُّلب على مثله، والشِّنان جمع شَنّ، وهي القِرْبَة اليابسة، معناه: ليس هو مما تفزعه القعقعة. ينظر «جمهرة الأمثال» ٢/ ٢٣٧ و ٤١٢ .

ممن عاداني[١]، وقد أنصفَ القارَةَ من راماها[٢]، وإنَّ أمير المؤمنين قد ولَّاني الكوفة، وإنّي سائرٌ إليها، وقد استخلفتُ عليكم عثمان بنَ زياد بن أبي سفيان، فإيَّاكم والخلافَ والإرجاف، فوالذي لا إله إلا هو، لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنَّه، ولآخذنَّ الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا. ونزل.

وسار من البصرة ومعه مسلم بنُ عمرو الباهليّ، وشريك بن الأعور الحارثي وأهلُ بيته، فدخلَ الكوفة وعليه عِمامة سوداء، وهو متلثّم، فظنَّه الناس الحسين رضي الله عنه، فقال مسلم بن عمرو الباهليّ: تأخَّروا، فهذا الأمير عُبيدُ الله بن زياد. فأخذَتْهم كآبةٌ وحُزن[٣].

وكان تأخّر عنه في الطريق جماعةٌ ممن سار معه، فسار عُبيد الله لا يلوي على أحد خوفاً أن يسبقه الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة، فلما مرَّ بالناس ظنُّوا أنه الحسين رضي الله عنه وهو معتجرٌ على بغلة وحدَه، فيقولون: مرحباً بك يا ابنَ رسولِ الله، وهو لا يتكلَّم، وخرجَ إليه الناس من بيوتهم وهو قاصدٌ للقصر.

وسمع النعمانُ بنُ بشير قولَ الناس: مرحباً بك يا ابنَ رسول الله، فأغلقَ باب القصر، وجاء ابنُ زياد، فوقفَ على باب القصر وقال: افتح. والخلق معه يصيحون ظنًّا منهم أنه الحسين رضي الله عنه، فكلَّمه النعمان وقال له: أنشدك الله، إلَّا تنحَّيْتَ، فواللهِ ما أنا بمسلّم إليك أمانتي، ومالي في قتالك من أَرَب. وكان ليلاً وابنُ زياد ساكت، فقال له: افتَحْ لا فتحتَ، فقد طال ليلُك. وسمعه رجلٌ من أهل الكوفة فعرف صوتَه، فنكص إلى القوم وقال: ويحكم، واللهِ إنه ابنُ مَرْجانة! وسمع النعمانُ، ففتح الباب، فدخل، ورجع القومُ ناكصين على أعناقهم. وأصبح، واجتمعوا إليه، فخطبهم[٤].

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٨: لنكل لمن عاداني.

(٢) يضرب مثلاً لمساواة الرجل صاحبه فيما يدعوه إليه. والقارَة: قبيلة من الهُون بن خزيمة. ينظر «جمهرة الأمثال» ١/ ٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٥٨. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٧٨.

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

وقال في خطبته: أمَّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين ولَّاني مِصْرَكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسانِ إلى سامعكم ومطيعكم، والشدَّةِ على مُرِيبِكم، وأنا متَّبعٌ فيكم أمرَه، ومُنْفِذٌ عهدَه، وأنا لمحسنِكم ومطيعِكم كالوالد، وسَوْطي وسيفي على من خالفَ أمري. والسلام.

ثم أخذ العرفاءَ بالشدَّة، والبحثِ عن أهل الرِّيَب ومن تطلَّبَه[١].

ثم دعا مولًى لبني تميم ـ وقيل: مولًى له ـ يقال له: مَعْقِل[٢]، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له: اطلُبْ مسلم بنَ عَقِيل، فإذا اجتمعتَ به، فادفعْ إليه المالَ، وأخبره أنك منهم، ثم تردَّد إليهم، وطالِعْنِي بأخبارهم. فما زال يبحث حتى اجتمع بمسلم، وأعطاه المال، وصار خِصِّيصاً به، وأظهرَ أنه من أهل حمص أو اليمن.

وكان مسلم في بيت هانئ بن عروة، والرجلُ الدسيسُ يطالعُ ابنَ زياد بأخبار هانئ ومسلم بكرةً وعشيًّا. وقدم شريك [بن] الأعور مريضاً، وقال لهانئ: مُرْ مسلماً يكون عندي، فإنَّ ابنَ زياد يعودُني.

فانتقل مسلم إليه، فقال شريك لمسلم: إذا جاء ابنُ زياد يعودُني وقلت: اسقوني ماءً؛ فاخْرجْ عليه، فاقتُلْه.

وجاء ابنُ زياد، فجلس على فراش شريك، فقال شريك: اسقُوني ماءً. ثلاث مرات. ومهرانُ[٣] قائمٌ على رأسه، ففطن، فغمزَ عُبيدَ الله، فقام، فقال: واللهِ لقد أرادوا قتلَكَ. فقال: وكيف مع التزامي[٤] شريكاً، وفي بيت هانئ، ويدي عنده[٥] ؟!

---

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٢) في (خ): معقل بن يسار، وهو خطأ. والمثبت من المصادر: ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٧٨، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦٢، و«البداية والنهاية» ١١/ ٤٨٢ . ومعقل بن يسار صحابي، توفي آخر خلافة معاوية .

(٣) هو مولى لابن زياد .

(٤) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦٠: إكرامي .

(٥) في «تاريخ» الطبري: ويد أبي عنده يد .

ودخل عُبيد الله القصر وقال لأسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث: عليَّ بهانئ. قالا: إنه لا يأتي إلا بأمان. قال: وهل أحْدَثَ حَدَثاً فيحتاجَ إلى الأمان؟! فإنْ لم يأتِ [إلا] بالأمان فآمِناه.

فلما دخلَ على ابن زياد قال له: يا هانئ، أما تعلمُ أن أبي دخل هذا القصر[١] فلم يترك فيه أحداً من الشيعة إلا قتله إلا أباك، ثم أحسنَ إليك؟ قال: بلى. قال: فكان جزائي منك أن خَبَأْتَ في بيتك رجلاً ليقتلني؟! فقال: معاذ الله، ما فعلت. فأخرج الرجلَ الذي كان دسيساً، فأُسْقِطَ في يد هانئ، وقال: أيها الأمير قد كان الذي بلغَك، ولن أضَيِّعَ يدَك[٢] عندي، وأنتَ آمنٌ وأهلُك، فسِرْ حيثُ شئتَ.

ومِهْرانُ قائمٌ على رأس عُبيد الله وبيده العَنَزَة، وقد كَبا عُبيدُ الله، فقال مهران: واذُلّاه! هذا العبدُ الحائكُ يؤمِّنُك في سلطانك! فقال: خُذْهُ. فأخذَ مِهْرانُ بضفيرتَيْ هانئ، وحلَّهما، وأخذَ عُبيد الله العَنَزَة، فضربَ بها وَجْهَ هانئ، فكسرَ أنفَه وجبينَه وحبسَه[٣].

وسمعَ الناسُ الهَيْعَةَ، فقام أسماء بن خارجة فقال لابنِ زِياد[٤]: أَرُسُلُ غَدْر؟! أمرتَنا أن نأتيَك به، حتى إذا أتيناك به هشمتَ وَجْهَ الرجل، وأسلتَ دماءه على لحيته، وزعمتَ أنك تقتله! فقال ابنُ زياد: وإنَّك هاهنا! فأمر به، فلُهِزَ وتُعْتِع [به][٥].

وخافَ ابنُ الأشعث فقال: رضينا ما يفعلُ الأمير، فإنما هو مؤدِّب.

وبلغ عَمرَو بن الحجَّاج أنَّ هانئاً قد قُتل، فأقبلَ في مَذْحِج حتى أحاط بالقصر وقال: أنا عَمرُو بنُ الحجَّاج، فقال ابنُ زياد لشُرَيْح: اخْرُجْ إليهم، فخرج فسكَّنهم[٦].

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦١: هذا البلد.

(٢) في (خ): برّك. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦١.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٤) في (خ): فقام ابن زياد، بدل: فقال لابن زياد، والصواب ما أثبتُّه، وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦٧.

(٥) اللَّهْزُ: الضَّربُ بجُمْع الكفِّ في اللهازم والرَّقَبة. والتَّعْتَعَة. التحريك بعنف.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨، وما سلف بين حاصرتين منه.

وخرج مسلم بن عَقِيل من دار هانئ في ثمانية عشر ألفاً[١]، وشِعارُهم: يا منصور أَمِتْ أَمِتْ. فما بلغ القصرَ إلا في ثلاث مئة، وليس مع [ابن] زياد في القصر إلا ثلاثون رجلاً وأهلُه، فأمرَ محمد بنَ الأشعث أن يخرج في كِنْدة، فيرفع راية أمان، وأمرَ شَبَث ابن رِبْعيّ التميميّ، وحجَّار بن أَبْجَر العجليّ وشمر بن أبي الجوشن العامريّ، فخذَّلُوا الناسَ عن مسلم بن عقيل، واطَّلع الباقون من القصر، فخذَّلُوا عنه عشائرهم، فتفرَّقوا[٢].

وبقي وحدَهُ، وجاء إلى طَوْعة، فأجارَتْه، وكتَمَتْ حالَه عن ابنها، وكان مولًى لمحمد بن الأشعث.

وعلم به محمد بن الأشعث، فأخبرَ ابنَ زياد، فبعث إلى عَمرو بن حريث صاحب شُرَطِه: ابْعَثْ مع ابن الأشعث سبعين رجلاً من قيس. وإنما خصَّ قيساً؛ لعلمه أنَّ كلَّ قبيلةٍ يكرهون أن يصاب فيهم مسلم بن عقيل[٣]. فبعثَ معه عَمرو بنَ عُبيد الله بن عباس السُّلمي، فأتوا الدار التي فيها مسلم، فلما سَمِعَ [وقع] حوافِرَ الخيل وأصوات الرجال، عرف أنه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، وكانوا قد اقتحموا عليه الدار، فضربَهم حتى أخرجهم منها، وضربه بُكير بن حُمْران[٤] الأحمري، فقطع شَفَةَ مسلم العليا، وأشْرَعَ في السفلى، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكرة، وثنَّى بأُخرى على حبل العاتق كادت تطلُع على جوفه، فلما رأوا ذلك؛ أشرفوا عليه من ظهر البيت يرمونه بالحجارة، ويُلْقُون عليه القصب وفيه النار، فخرج من البيت والسيف في يده يقاتلُهم، فصاح به محمد بنُ الأشعث: لك الأمان. وهو يحملُ ويقول:

---

(١) في الكلام تجوُّز، فعدد الذين بايعوا مسلماً ثمانية عشر ألفاً، أما عدد الذين خرج بهم فأربعة آلاف. وينظر «تاريخ» الطبري٥/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٣) في « تاريخ » الطبري ٥/ ٣٧٣: يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل.

(٤) في (خ): بن حفص، والمثبت من « تاريخ » الطبري ٥ / ٣٧٣، وفي «أنساب الأشراف » ٢ / ٨٨: بن حمدان.

أقسمتُ لا أُقتلُ إلَّا حُرّاً وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكْرا
كلُّ امرئ يوماً مُلاقٍ شرّاً أخاف أنْ أُكْذَبَ أوأُغرَّا[1]

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تُكذبُ ولا تُغَرُّ، إنَّ القوم بنو عمِّك، ليسوا بقاتليك.

ثم حملوه على بغلة، وانتزعُوا سيفه من عُنقه، فقال: هذا ـ واللهِ ـ أوّلُ الغدر. ثم بكى، فقيل له: من يطلبُ مثلَ الذي تطلبُ إذا نزل به مثلُ هذا لا يبكي[2]! فقال: واللهِ ما أبكي لنفسي، وإنما أبكي للحسين وأهلي حيث يُصيبُهم ما أصابني.

ثم قال مسلم لمحمد بن الأشعث: هل لكَ أنْ تبعثَ إلى حُسين، فتخبرَه أنَّ أهلَ الكوفة قد كذَّبوه وكذَّبوني، وأنه ليس لمكذوبٍ رأي. فقال: إني واللهِ أَبعثُ إليه، وأُخبِرُ ابنَ زياد أنَّني أمَّنتُك.

وبعثَ إلى الحسين إياسَ الطائيَّ بكتابٍ فيه ما قال مسلم، وأعطاه نفقةً وراحلةً، فلقيَه بزُبالة[3]، وأخبرَه وبلَّغه الرسالة، فقال حسين: كلُّ ما حُمَّ[4] نازلٌ، وعند الله نحتسبُ أنفسَنا وفسادَ أُمَّتِنا.

وأقبل محمد بن الأشعث بمسلم إلى باب القصر، وأخبر ابنَ زياد بأمان محمد، فقال: إنما أرسلناك لتأتيَنا به، لا لتؤَمِّنَه.

وكان مسلم قد عطش، وإذا بِقُلَّةٍ على باب القصر فيها ماء، فقال: اسقوني. فقال له مسلم بن عَمرو: ما أبردها! واللهِ لا تذوقُ منها قطرة حتى تذوقَ الحميم في نار جهنّم. فقال له مسلم: ويحك، مَنْ أنت؟ فقال: أنا مَنْ عرفَ الحقَّ إذْ أنكرتَه، ونصح إمامه إذْ

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥ / ٣٧٤:

كلُّ امرئٍ يوماً ملاقٍ شرّا ويُخلط البارد سُخناً مرّا
رُدّ شعاع الشمس فاستقرّا أخاف أن أُكذبَ أو أُغرّا

(٢) القائل هو عمرو بنُ عبيد الله بن عباس السُّلمي، كما في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٤. وسلف ذكره في الخبر.

(٣) زُبالة، بضم الزاي: قرية عامرة معروفة بطريق مكة من الكوفة.ووقع في (خ): فلقيه على بن زبالة، وهو خطأ. وينظر الكلام في «تاريخ» الطبري٥/ ٣٧٥.

(٤) أي: قُضِيَ.

غَشَشْتَه، وسمع وأطاعَ إذْ عَصَيْتَه، أنا مسلم بن عَمْرو الباهليّ. فقال له ابنُ عَقِيل: لأُمِّك الثُّكْلُ! ما أجفاكَ وأفظَّكَ وأقسى قلبَك! أنتَ يا ابنَ باهلةَ أولى بالحميم، والخلودِ في نار الجحيم.

وكان عُمارة بنُ عقبة بن أبي مُعَيْط حاضراً، فأرسلَ غلامَه، فجاء بقُلَّةٍ فيها ماءٌ وقَدَح، فصبَّ في القَدَح وسقاه، فلم يقدر أن يشربَ من كثرة الدَّمِ، وسقَطَتْ ثنيَّتاه في القَدَح، فقال: الحمدُ لله، لو كان هذا الماءُ من الرزق المقسوم لشربتُه.

وأُدخل على ابنِ زياد، فلم يسلِّم عليه بالإمرة، فقال له الحَرَسيّ: ألا تسلِّمُ على الأمير؟! فقال: إنْ كان يُريدُ قتلي فما سلامي عليه؟! وإنْ كان لا يريدُه، فليَكْثُرَنَّ سلامي عليه. فقال ابن زياد: لَعَمْري لَتُقْتَلَنَّ. فقال: دَعْني أوصِ إلى بعض قومي. قال: افعل. فقال لعُمر بن سعد بن أبي وقَّاص: بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرٌّ. فقال له ابنُ زياد: لا تمتنع من حاجة ابنِ عمك. فقال له: عليَّ بالكوفة سبعُ مئة درهم دَيْنٌ، فاقْضِها عني، واستَوْهِبْ جُثَّتي من ابن زياد، فوارِها، وابعثْ إلى حسين من يردُّه، فإني كتبتُ إليه أُخبرُه أنَّ الناس معه.

ثم قال ابن زياد لمسلم: إيهِ يا ابنَ عَقِيل! أتيتَ الناسَ وكلمتُهم واحدةٌ، وأمرُهم جميع، لتفرِّقَ كلمتَهم؟ فقال: ما أتيتُ لهذا، وإنما أهلُ المصر كتبوا إلينا أن أباك قتلَ خيارهم، وسفكَ دماءَهم، وعملَ فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمرَ بالعدل، وندعوَ إلى كتاب الله، فقال ابن زياد: وما أنت وذلك يا فاسق؟ أولستَ بالمدينة تشرب الخمرَ؟ قال مسلم: كذبتَ، واللهِ ما شربتُه قطّ، وأنتَ وأمثالُك يَلَغُون في دماء المسلمين. قال له ابنُ زياد: تمنَّيتَ أمراً حالَ اللهُ دونَه، ولم يَرَكُم أهلَه. قال: فَمَنْ أهلُه يا ابنَ زياد؟ قال: أميرُ المؤمنين يزيد.

ثم شتم ابنُ زياد عليًّا وعَقِيلاً والحسنَ والحُسين ﷺ، ثم قال: أين الذي ضربَ رأسَه مسلمُ بنُ عَقيل بالسيف؟ فقال: خُذْه، واصْعَدْ به إلى أعلى القصر فاضْرِبْ عُنُقَه،

وأَتْبِعْ جسدَه رأسَه. فأخذه وصعد به وهو يقول: اللهمَّ احْكُمْ بيننا وبين قوم كذَّبُونا وغرُّونا وخَذَلُونا وقتلُونا. فقتلَه[١].

وقدم محمد بنُ الأشعث إلى ابنِ زياد فكلَّمه في هانئ بن عُروة، وقال: قد عرفتَ مكانَه في المِصْر وعشيرتَه، وقد علم قومُه أنِّي أنا[٢] وصاحبي سُقناه إليك، أَنْشُدُكَ اللهَ لَمَا وَهَبْتَه لي، فإنَّني لا طاقةَ لي بعداوة قومِه، وهم أعزُّ أهلِ المصر.

فوعده أن يُطلقه، ثم بدا له، فأمرَ بإخراجه إلى السوق مكتوفاً، فانتَهَوْا به إلى موضع تُباع فيه الغنمُ وهو يصيح: واذُلَّ مَذْحِجاه! ولا مَذْحِجَ اليوم. ثم ضرب عنقَه رشيد مولًى لعبيد الله بن زياد، تركيّ[٣].

وبعث برأس مسلم وهانئ مع هانئ بن أبي حيَّة الوَادعي والزُّبيرِ بن الأَرْوح التميمي، وأمر كاتبَه عمرَو بنَ هانئ أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب كتاباً أطال فيه، وكان أوَّلَ مَنْ أطالَ في الكتب، فلما نظرَ فيه عُبيدُ الله كرهه، وقال: ما هذا التطويل؟ اكتب إليه: أمَّا بعد، فالحمدُ لله الذي أخذَ لأميرِ المؤمنين بحقِّه، وكفاه مُؤْنةَ عدوِّه، أُخبرُ أميرَ المؤمنين أنَّ مسلم بن عَقِيل لجأَ إلى دار هانئ بن عُروة المرادي، وأنِّي جعلتُ عليهما العيون، ودسستُ إليهما الرِّجال، وكِدْتُهما حتى استخرجتُهما، وأمكن اللهُ منهما، فضربتُ أعناقَهما، وبعثتُ إليك برؤوسهما. والسلام.

فكتب إليه يزيد بنُ معاوية: أما بعد، فإنَّك لم تَعْدُ أن كنتَ كما أُحِبُّ، عملتَ عملَ الحازم، وصُلْتَ صَوْلَةَ الشجاع الرابط الجأش، فقد أَغْنَيْتَ وكفَيْتَ، وصدَّقْتَ ظنِّي بك ورأيي فيك، وقد بلغني أن الحسين قد توجَّهَ نحو العراق، فضَعِ المناظرَ والمسالح، واحتَرِسْ واحبِسْ على الظِّنَّة، وخُذْ على التُّهَمَة؛ غير أنك لا تقتلُ إلا من قاتَلَك،

(١) ينظرما سلف في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٨. وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٢/ ٧٨ ـ ٨١.

(٢) في (خ) (والكلام منها فقط): أما أنا، بدل: أني أنا.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٨١ ـ ٨٢.

واكتبْ إليَّ بكلِّ ما يحدُثُ من خبر إن شاء الله[١] . فقد ابتُلِيَ بالحسين زمانُك من بين الأزمان، وبلدُك من بين البلدان، وابتُليتَ به بين العمال، وإنما أنتَ أَحَدُ أعضاءِ ابنِ عمك، فاحْرِصْ أن تكون كلَّها[٢]، وعندها تُعتقُ أو تعودُ عبداً. والسلام[٣] .

وكان مخرجُ مسلم بن عَقِيل يوم الثلاثاء[٤] لثمانِ ليالٍ مضَيْنَ من ذي الحجَّة سنة ستين، ويقال: يوم الأربعاء يوم عرفة بعد[٥] مخرجِ الحسين من مكة إلى العراق بيوم.

ولما خرج مسلم بن عَقِيل؛ خرج معه المختارُ بن أبي عُبيد، وعبدُ الله بن الحارث ابن نوفل، ومع المختار رايةٌ خضراء، ومع عبد الله رايةٌ حمراء، وجاء المختارُ برايته فركزها عند باب عَمرو بن حُريث، وقال: إنما جئتُ لأمنع[٦] عَمراً.

فلما قُتل مسلم أمرَ ابنُ زياد بحبس المختار وعبدِ الله بن الحارث.

وحجَّ بالناس عَمرو بن سعيد بن العاص.

قال معمر: لما كان يومُ التروية قدم عمرو بن سعيد مكة في جند كثيف، وكان يزيد قد كتبَ إليه أنْ يُناجزَ الحسين إنْ هو ناجزَه، أو يغتالَه إن عجزَ عنه، وعلم الحُسين رضي الله عنه، فخرج يومَ التروية، وقبل خروجه طاف بالبيت ومعه عبد الله بن الزبير، فقال له عبد الله: أقِمْ ههنا ونُقاتل أبناءَ المنافقين، فقال: لا أُريد القتال في الحرم. قال: فلعلَّنا لا نلتقي بعد هذا اليوم، فأخبرني متى يرثُ المولودُ، ويُورَث، ويتمُّ عقلُه؟ وعن جوائز السلطان؛ هل تحلُّ أم لا؟ فقال الحسين رضي الله عنه: أمَّا المولود؛ فإذا استهلَّ صارخاً، وأمَّا جوائز السلطان؛ فحلال ما لَم يَغْصِبِ الناسَ أموالَهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨١ . والكلام بعده في «تاريخ دمشق»، ينظر «مختصره» ٧/ ١٤٥ . قوله: المناظر، هو جمع المنظر، أي: المَرْقَبة (موضع المراقبة). والمسالح: جمع المَسْلَحَة، وهو الموضع الذي يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة وغيرها .

(٢) ينظر «العقد الفريد» ٤/ ٢٠٧ .

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٥٠٨، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٥ . وسلف نحوه من قول عمرو بن سعيد.

(٤) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨١: بالكوفة يوم الثلاثاء .

(٥) ينتهي في هذا الموضع الخرم الذي وقع في (ب) في أواخر ترجمة قيس بن سعد بن عبادة في السنة (٥٩) عند قوله فيها: «ولا يعاقبون بشيء وأنا رجل منهم» فكان الكلام بين هذين الموضعين من (خ) وحدها .

(٦) في (ب) و (خ): لأتبع. والتصويب من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨١ .

وقيل: أقامَ الحجَّ يحيى بن سعيد نيابةً عن أخيه، وكان على مكة والمدينة عمرو بن سعيد، وعلى الكوفة والبصرة عُبيد الله بنُ زياد، وعلى خُراسان عبدُ الرحمن بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شُريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة(١).

وفيها توفي

بلال بن الحارث المُزَنِيُّ

من الطبقة الثالثة من المهاجرين، كنيتُه أبو عبد الرحمن.

قال ابن عبَّاس: أعطى النبيُّ ﷺ بلالَ بنَ الحارث المُزَنيَّ معادنَ القَبَليَّة؛ جَلْسِيَّها وغَوْرِيَّها، وحيثُ يصلح الزرعُ من قُدْس(٢).

فلما كان عمرُ بنُ الخطاب رضوان الله عليه قال له: إن رسول الله ﷺ لم يُقْطِعْ(٣) لتحتجزه(٤)، فخُذْ منه ما قَدَرْتَ عليه وعلى عمله، وأَطْلِقْ الباقي للمسلمين. ففعل.

وقال أبو بشير المازنيُّ: قال النبيُّ ﷺ: «من وجدتُموه يقطع من الحِمَى شيئاً فلكم سَلَبُه».

وكان النبيُّ ﷺ استعملَ عليه بلالَ بنَ الحارث المزنيّ، وعلى عهدِ أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، فمات بلال في خلافة معاوية، فاستعمل على الحمى بعد ذلك(٥).

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٩٩، والمنتظم ٥/ ٣٢٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ١٤٨. وأخرجه أيضاً أبو داود (٣٠٦٢). قوله: معادن القَبَليَّة، منسوبة إلى قَبَل، بفتح القاف والباء، وهي ناحية من ساحل البحر، بينها وبين المدينة خمسة أيام، وقيل: هي من ناحية الفُرْع، وهو موضع بين نخلة والمدينة. وقوله: جَلْسِيَّها؛ الجَلْس: كلُّ ما ارتفعَ من الأرض، وقوله: غَوْريَّها؛ الغَوْر: كلُّ ما انخفضَ من الأرض. وقولُه: قُدْس: هو جبل، وقيل: هو الموضع المرتفع الذي يصلح للزراعة. «النهاية»: (جلس _ غور _ قبل _ قدس).

(٣) المثبت من (ب). وفي (خ): يعطه، ولعلها: يُقْطِعَكَهُ، ففي «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٤٩: ما أقطعَكَهُ.

(٤) كذا في (ب) و (خ). وفي «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٤٩: لتحتجنه، وشرح عليها ابن الأثير في «النهاية» فقال: أي: تتملَّكه دون الناس، والاحتجان: جمع الشيء وضمُّه إليك. اهـ. والحديث في «السنن الكبرى» للبيهقي ٦/ ١٤٩، وفيه: لتحجره، وجاء في هامشه لفظة: لتحرزه.

(٥) كذا في «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٤٩، وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٤٢ (مصورة دار البشير). وبنحوه في «مغازي» الواقدي ٢/ ٤٢٥ _ ٤٢٦.

وتوفِّي في سنة ستين، وهو ابنُ ثمانين سنة[١].

وحضر غَزاةَ دَوْمَةِ الجَنْدل مع خالد بنِ الوليد[٢]، وهو أوَّلُ من قدم على رسول الله ﷺ من وفد مُزَيْنة سنة خمس من الهجرة[٣].

وقدم مصر لغزو إفريقية ومعه أربع مئة من قومه، وكان يحمل لواءهم[٤].

وابنُه حسان بن بلال أوَّلُ من أظهرَ الإرجاء بالمدينة[٥].

أسند بلال الحديثَ عن رسول الله ﷺ[٦].

خِراشُ بن أُميَّة

ابن ربيعة الكعبيّ، كنيتُه أبو نَضْلة، من الطبقة الثالثة من المهاجرين.

شهد مع النبيِّ ﷺ المُرَيسِيع، والحُدَيبية، وبعثه رسول الله ﷺ يومئذٍ إلى قريش، وهو الذي حلق رأس رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِية [وحَلَقَهُ أيضاً في عُمرة] الجِعِرَّانة[٧]، وأقام بالمدينة حتى توفي بها في هذه السنة.

زيد بن خالد الجُهَني

أبو عبد الرحمن، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، توفّي بالكوفة سنة ستين آخِرَ خلافة معاوية، وقيل: مات بالمدينة سنة ثمان وسبعين، وهو ابنُ خمس وثمانين سنة، وله صحبة ورواية[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٤٩، والمعارف ص٢٩٨، وتاريخ دمشق ٣/ ٤٤٠، و ٤٤٤ .
(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٤٣٥ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٤٤١ .
(٥) المعارف ص٢٩٨، والثقات ٣/ ٢٩ .
(٦) روى له أصحاب السنن؛ ينظر «تهذيب الكمال» ٤/ ٢٨٣ .
(٧) ما بين حاصرتين من «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٨٩ . والكلام منه، ووقع بدله في (ب) و (خ): في .
(٨) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٢ . وروى له الجماعة، ينظر «تهذيب الكمال» ١٠/ ٦٣ .

شريك بن الأعور الحارثي

شاعر، وفد على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وكان من أصحاب عليّ عليه السلام، شهدَ معه الجمل وصفِّين، ووفدَ على معاويةَ، وأشخَصَه ابنُ زياد من البصرة إلى الكوفة، فمات بعد خروج مسلم بن عَقِيل بثلاثة أيام.

أبو مسلم الخَوْلاني

واسمُه عبد الله بن ثُوَب، على خلاف في ذلك، من الطبقة الثانية من التابعين[١]، وقيل: من الأولى[٢].

كان من الأفاضل الأخيار، صاحب كرامات، مُجابَ الدعوة[٣].

نزل داريا [قرية من قرى الشام]. وأدرك جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما، وهو الذي أُلقيَ في النار فلم تضرَّه.

قال شُرَحْبِيل بنُ مسلم: إنَّ الأسود العنسيَّ تنبَّأَ باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم، فقال: تشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله؟ قال: نعم. قال: تشهدُ أني رسولُ الله؟ قال: لا[٤]. فأمرَ بنارٍ عظيمة فأُضْرِمَتْ، وطَرَح أبا مسلم فيها، فخرجَ منها سالماً لم تضرَّه، فقال له أصحابه: أخْرِجْه؛ وإلَّا أفسدَ عليك البلاد. فأخرجَه من اليمن.

فقدم المدينة وقد قُبِض رسولُ الله ﷺ، واستُخلِفَ أبو بكر رضوان الله عليه، فأناخَ راحلتَه على باب المسجد، ودخلَ فقام فصلَّى إلى سارية، فبَصُرَ به عمر بنُ الخطاب

---

(١) في (ب) و (خ): الثالثة، وهو خطأ، ولفظ العبارة في (م): (ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين وقال: أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ وفي عهده، ولم يره). ولم يرد هذا الكلام في ترجمته في «الطبقات» ٩/ ٤٥١، وهو بنحوه في «تاريخ دمشق» ص٤٨٩ عن ابن منده.

(٢) في (ب) و(خ): الأول. وذكر ابن عساكر عن خليفة قوله: في الطبقة الأولى من أهل الشام أبو مسلم الخولاني. تاريخ دمشق ص٤٨٥ (ترجمة أبي مسلم الخولاني ـ طبعة مجمع دمشق).

(٣) نُسب القول في (م) لعبد الجبار بن محمد، وما سيرد بين حاصرتين منها. وينظر «تاريخ دمشق» ص٤٨٩.

(٤) في «تاريخ دمشق» ص٤٩٣ و ٤٩٤: ما أسمع.

رضوان الله عليه، فجاء فجلس إليه وقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن. قال: ما فعل صاحبُنا الذي حرقَه الأسود بالنار فلم تضرَّه؟ قال: ذلك عبد الله بن ثُوَب. فقال: ناشدُتك الله، أنتَ هو؟ قال: نعم. فقام عمر رضوان الله عليه، فقبَّل ما بين عينيه، ثم جاء به، فأجلسه بينه وبين أبي بكر رضوان الله عليه وقال: الحمدُ لله الذي لم يُمتني حتى أراني رجلاً من أمَّة محمد ﷺ فُعِلَ به كما فُعل بإبراهيم الخليل عليه السلام[١].

وقال علقمة بن مَرْثد: انتهى الزُّهد إلى ثمانية من التابعين، منهم أبو مسلم الخَوْلَاني، ما كان يُجالس أحداً يتكلَّم في أمور الدنيا إلا تحوَّل عنه[٢].

وكان يصوم الدهر، ويقوم الليل، ويصلِّي كلَّ يوم وليلة أربع مئة ركعة ويقول: إنَّ الخيل لا تجري إلى الغايات وهي بُدْنٌ، إنما تجري وهي ضُمْر، وإنَّ بين أيدينا أياماً لها نعمل[٣].

وقال الحافظ أبو نُعيم: كان أبو مسلم كثيرَ الغزو لبلاد الروم، فإذا مرُّوا بنهر يقول: أُعْبُروا بسم الله. ويمرُّ بين أيديهم. فيمرُّون بالنهر الغَمْر، فربَّما لا يبلغ من الدوابّ إلا إلى الرُّكَب، أو قريباً من ذلك، فإذا جاوز النهر قال: من ذهبَ له شيء فأنا ضامنٌ له. فألقى بعضُهم مِخْلاةً عَمْداً، فلما جاوز قال الرجل: مِخْلاتي وقعت في النهر. قال:

---

(١) أخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ص٨٦٠، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ص٤٩٣، و٤٩٤، من طريق إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم، به. قال ابن عبد البر: صدر الخبر معروف مثله لحبيب بن زيد بن عاصم مع مسيلمة، فقتله مسيلمة... وإسماعيل بن عياش ليس بحجة في غير الشاميين. وقال الذهبي في «السير» ٤/ ٩: شرحبيل أرسل الحكاية.

وجاء آخر الخبر في (م) ما نصُّه: (وهذه رواية أبي نعيم، وقد ذكر القصة ابن عساكر وقال: لم يحترق منه إلا أمكنة لم يصبها الوضوء). اهـ. قلت: وقد أخرج ابن عساكر الخبر من رواية شرحبيل، وذكره أيضاً من رواية أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، وفيه نحو الكلام الذي وقع في (م).

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٢٣، وصفة الصفوة ٤/ ٢٠٩. وذكر أبو نعيم الزهَّاد الثمانية في «الحلية» ٢/ ٨٧ في ترجمة عامر بن عبد الله بن قيس، (وهو أحدهم)، والستَّة الآخرون هم: أُوَيْس القَرْني، وهَرِم بنُ حيَّان، والرَّبيع بن خُثيم، ومسروق بنُ الأَجْدَع، والأسود بن يزيد، والحسن البصري رضي الله عنهم.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٢٧ وتاريخ دمشق ص٥٠٠ (ترجمة أبي مسلم ـ طبعة مجمع دمشق)، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٠.

اتبعني. فإذا هي قد تعلَّقت ببعض أشجار النهر[١].

وروى ابنُ عساكر قال: كان أبو مسلم يخوضُ دجلة وهي ترمي بالخشب من مدِّها، ولا يضرُّه ذلك[٢].

[قلت: هذا واحدٌ من الأمة شارك الخليل عليه السلام في خوض النار، وشارك موسى عليه السلام في خوض البحر][٣].

قال عطاء: قالت امرأة أبي مسلم الخَوْلاني: ليس لنا دقيق. فقال: هل عندكِ شيء؟ فقالت: درهمٌ بِعْنا بِهِ غَزْلاً. فقال: اِبْغِينِيه، وهاتي الجِراب. وأخذَه ومضى إلى السوق، ووقفَ على بائع الطعام، فجاء سائل، فقال له: تَصَدَّقْ عليَّ للهِ تعالى. فأعطاه الدرهم، وعَمَدَ إلى الجِراب، فملأه من نُحاتةِ النَّجَّارِين، ثم أقبل إلى [باب] بيته، فرماه في الدِّهْليز، ومضى إلى المسجد.

فأخذتِ المرأةُ الجِراب، فإذا فيه دقيق حُوَّارَى[٤]، فعجَنَتْ[٥] منه وخَبَزَتْ. وجاء أبو مسلم بعد هَدِيءٍ[٦] من الليل، فدخل فقدَّمَتْ إليه أرغفةً، فقال: من أين لكم هذا؟! قالت: من الدقيق الذي جئتَنا به في الجِراب، ولا تشتري إلا منه. فجعل يأكل ويبكي. ويقول: نعم[٧].

وكانت لأبي مسلم منزلة من معاوية، كان إذا دخل عليه قام وقعد بين يديه.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ص٥٠٣ (ترجمة أبي مسلم) من طريق أبي نعيم، ولم أقف عليه في «الحلية». وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤/ ٢١٠ .

(٢) تاريخ دمشق ص٥٠٣ و ٥٠٥ .

(٣) ما بين حاصرتين من (م) .

(٤) أي: دقيق أبيض، وهو لُباب الدقيق .

(٥) في (ب) و (خ): فعجبت. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في المصادر .

(٦) أي: حينَ هَدَأَ الليل. ووقع في (م): هَوِيّ، أي: ساعة. ينظر «القاموس»: (هدأ ـ هوى) .

(٧) تاريخ دمشق ٥٠٨ ـ ٥٠٩، وصفة الصفوة ٤/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٢. وليس فيها آخر الخبر قوله: «ويقول نعم» ونُسب الخبر في (م) للخطيب البغدادي، وقد أخرجه ابن عساكر من طريقه، ولم أقف عليه في «تاريخ بغداد» .

وكان أبو مسلم إذا انصرفَ من المسجد إلى منزله كبَّر على باب منزله، فتجيبُه زوجتُه بالتكبير، فإذا كان في صحن الدار كبَّر فتُجيبُه امرأتُه، فإذا بلغ إلى باب البيت كبَّر، فتُجيبه. فانصرفَ ذاتَ ليلةٍ إلى باب منزلِه، فكبَّر، فلم يُجبه أحد، فدخل فكبَّر في صحن الدار، فلم يُجبه أحد، فكبَّر على باب البيت، فلم يُجبه أحد. وكان من عادة زوجته إذا دخلَ بيتَه قامت إليه، فنَزَعَتْ رداءه، وأَخَذَتْ نعليه، وجاءَتْه بطعام يُفطر عليه، فلم تقُم إليه. فدخل البيت، وإذا ليس فيه سراج، وإذا بامرأته جالسةٌ منكِّسةَ الرأس، فقال لها: ما لكِ؟ فقالت: أنتَ لك من معاوية منزلةٌ، وليس لنا خادم، فلو سألتَه فأخْدَمَنا خادماً. وقد كانت جاءَتْها امرأةٌ قبل ذلك، فقالت: إنَّ زوجَكِ له منزلةٌ من معاوية، فلو أخبرَه بحالكم، فأَخْدَمَكُم خادماً نَعَشْتُم. فلما قالت له امرأته ذلك فهم، فرفعَ يديه وقال: اللَّهم من أفسدَ عليَّ امرأتي أفْسِدْ عليه بصرَه. فبينا تلك المرأة جالسةٌ في بيتها إذْ أنكَرَتْ بصرَها، فقالت لأهلها: ما لِسراجِكم قد طَفِئ؟ فقالوا: ما طَفِئَ. فعلمَتْ من أين أُتِيَتْ، فقالت: قودوني إلى دار أبي مسلم، فقادوها[1] إليه وهي تبكي وتسألُه أن يدعوَ لها. فرقَّ لها ورحمها، وسألَ اللهَ، فردَّ عليها بصرَها، ورجعت المرأة إلى الحال التي كانت عليها[2].

وقال أبو مسلم: ما طلبتُ من الدنيا شيئاً فوفي[3] لي، حتى لقد ركبتُ حماراً مرَّة، فلم يمش، فنزلتُ عنه، فركبَه غيري، فمشى، ونمتُ ورأيتُ قائلاً يقول لي: لا تحزنْ على ما زُويَ عنك من الدنيا، وإنما يُفعل هذا بأوليائه وأحبابه وأهل طاعته. فسُرِّيَ عني.

وقال: تركُ الذنب خيرٌ من التوبة.

وكان يقول: لأَن يولدَ لي مولودٌ يُحسِنُ اللهُ نباتَه؛ حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجبَ ما يكون إليّ؛ قبضه اللهُ مني؛ أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها[4].

---

(١) في (م): ودُّوني.... فودُّوها.

(٢) تاريخ دمشق ص٥٠٧، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٢.

(٣) كذا في (ب) و (خ). وفي (م): شيء فوتي. وفي «صفة الصفوة» ٢/ ٢١٢: فوُلّي.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٢٧، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٣.

[وقال أبو نُعيم: كان قد علَّق سَوْطاً في مسجده ويقول: أنا أولى بالسَّوْط من الدوابّ. فإذا دخل ضرب روحه سَوْطاً أو سَوْطين][(١)].

كان يقول: لو رأيتُ النارَ عِياناً ما كان عندي مستزادٌ[(٢)].

وكان الصبيان يقولون له: يا أبا مسلم، احبسْ علينا هذا الطائر، فيدعو، فيحبسُه الله حتى يأخذوه بأيديهم[(٣)].

ورآه كعب الأحبار فقال: هذا حكيم هذه الأمة[(٤)].

وكان يمشي في داريا إلى مسجد دمشق [ـ وبين داريا ومسجد دمشق أربعة أميال ـ] يلتمس الفضيلة[(٥)].

وكان إذا استسقى سُقي[(٦)].

وكانت له سُبْحَة يُسَبِّح بها، فنام ليلة وهي في يده، فاستدارت تسبِّح، فالتَفَّتْ على ذراعه، فانتبه، فقال لامرأته: يا أمَّ مسلم، هلمّي فانظري العجب. فجاءت؛ وإذا السُّبْحَة تسبِّح وتلتفُّ على ذراعه وتقول: سبحانك يا منبت النبات، ويا دائم الثبات. فلما جلست المرأة سكنت السُّبْحة[(٧)].

وقالت له جاريته [يوماً]: لقد جعلتُ لك السُّمَّ في طعامك غير مرة، ولا يضرُّك. فقال: ولِمَ فعلت؟ قالت: أنا جارية شابَّة، ولا تُدنيني من فراشك. قال: فإنّي أقول إذا

---

(١) كذا في (م) والكلام منها (وهو ما بين حاصرتين) والخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٧، و«تاريخ دمشق» ص٤٩٨، و«صفة الصفوة» ٤/ ٢١٣، وفيها: فإذا دخلته فترة مَشَقَ ساقَه سوطاً أو سوطين.

(٢) المصادر السابقة، وفيها أيضاً قوله: لو رأيت الجنةَ عياناً ما كان عندي مستزاد.

(٣) تاريخ دمشق ص٥٠٧، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٣. قال ابن عساكر: كذا قال: الطير، والمحفوظ: الظبي. ثم أخرج الرواية التي فيها لفظة: الظبي، وأخرجها أيضاً أبو نُعيم في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٩، ونُسب الخبر في (م) إليه.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٢٤، وتاريخ دمشق ص٤٩٦.

(٥) تاريخ داريا ص٦٠، وتاريخ دمشق ص٤٩٩. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٦) تاريخ دمشق ص٥٠٥.

(٧) تاريخ دمشق ص٥١٠.

قرَّبتِ إليَّ طعاماً: بسم الله خيرِ الأسماء الذي لا يضرُّ مع اسمه داء، ربِّ الأرض والسماء. وأعتقها[١].

وقد ذكره القاضي أبو بكر محمد بنُ الطَّيِّب في كتاب «الإمامة»، وأثنى عليه؛ قال[٢]: دخل أبو مسلم على معاوية في جماعة من أماثل أهل الشام، فقال له أبو مسلم: يا معاوية، نراك قد استَعْدَدْتَ لمحاربة عليِّ بنِ أبي طالب، وألزَمْتَه دمَ عثمان، وقد بلَغَنا أنه بريءٌ من دمه، وله من السابقة والقِدم والقَرابة من رسول الله ﷺ ما لا يُنكره أحد. فقال [له] معاوية: ألستُم تعلمون أنَّ عثمان قُتل مظلوماً؟ قالوا: بلى. قال: فليدفَعْ إلينا قَتَلَةَ عثمان نقتُلْهم به، وهو الإمام، ولا محاربة بيننا وبينه[٣]. فقال له أبو مسلم: أنصفت، ائذن لنا أن نأتيَه. فقال: قد أذنتُ.

فخرج أبو مسلم في جماعة فيهم أبو هريرة، فأَتَوْا عليًّا رضوان الله عليه، فأدركوه بالرَّحْبة، فذكروا له ما قال معاوية، فأذن للناس فدخلوا عليه، فقال: من قتلَ منكم عثمان؟ فقالوا كلُّهم: نحن قتلناه، أو فقالوا: كلُّنا قتلناه.

فرجع أبو مسلم، فدخل على معاوية، فأخبره بما قالوا، ثم التفتَ أبو مسلم إلى أهل الشام، فقال: انصروا خليفتَكم المظلوم، وأنا أوَّلُكم في سَرَعان الناس[٤].

وقال هشام بن الغاز[٥]: قام أبو مسلم إلى معاوية وهو على المنبر، فناداه: يا معاوية، إنما أنت قبرٌ من القبور، أتحسبُ أن الخلافة جمعُ المال وتفريقُه؟! كلا، إنما هي قول بالحقّ وعمل بالعدل، يا معاوية، إنَّا لا نُبالي إذا تكدَّرت الأنهار وصفا لنا رأسُ العين. فقال معاوية: صدقتَ يا أبا مسلم، يرحمُك الله.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ب) و(خ): وقال أبو بكر بن محمد (كذا، وهو خطأ) الطَّيِّب، بدل قوله أعلاه: وقد ذكره القاضي... إلخ وهو من (م). والقاضي ابنُ الطيِّب هو ابنُ الباقِلاَّني، ذكر له القاضي عياض كتاب «الإمامة» في «ترتيب المدارك» ٤/ ٦٠١.

(٣) في (م): ولا بيننا وبينه معاداة.

(٤) سَرَعان الناس أي: أوائلهم المستَبِقون إلى الأمر.

(٥) الخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٦، و«تاريخ دمشق» ص٥١٥ من طريق هشام بن الغاز، عن يونس الهرم، أن أبا مسلم... ونُسب الخبر في (م) لابن عساكر.

obeikandl.com

ودخل عليه يوماً فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم[١] ! فقال معاوية: دَعُوا أبا مسلم، فإنّه أعلم بما يقول. فقال أبو مسلم: إنما مَثَلُك مَثَلُ رجلٍ استأجر أجيراً، فولّاه ماشيته، وجعلَ له الأجر على أن يُحْسِنَ الرِّعْيَة[٢]. فإنْ هوَ أحسن إليها[٣] حتى تلحقَ الصغيرة، وتسمنَ العجفاء؛ أعطاه أجرَه وزاده، وإنْ هو أضاعَها غضبَ عليه وعاقَبَه، ولم يُعْطه أجرَه. فقال معاوية: ما شاء الله!

وحبس معاوية العطاء عن الناس شهرين، فقام إليه أبو مسلم وهو على المنبر، فقال: يا معاوية، إنَّ هذا المالَ ليس من كَدِّك ولا كَدِّ أبيك، وإنما هو مالُ الله. فقال معاوية: صدقت. اغدوا على عطائكم[٤].

ذكر وفاته:

مات في سنة ستين في أيام يزيد بن معاوية[٥].

وقيل: في أيام معاوية[٦].

وقيل: سنة اثنتين وستين[٧]. [والأول أصح].

وقيل: سنة أربع وأربعين. وهو وهم.

ومات بدمشق بداريا، ودُفنَ بها، وقبرُه يزار.

وقيل: مات بأرض الروم في غَزاة مع بُسْر بنِ أبي أَرْطاة، وأوصى أن يُدفن في قبور الشهداء.

---

(١) جاءت العبارة في (ب) و (خ) بلفظ: السلام عليك أيها الأمير فقال أبو مسلم: أيها الأمير. والتصويب من «تاريخ دمشق» ص٥١٦. ولم يرد هذا الخبر في (م).

(٢) في (ب) و (خ): إلى الرعية، والمثبت من «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٥. و«تاريخ دمشق» ص٥١٦.

(٣) في المصدرين السابقين: أحسن رِعْيَتَها.

(٤) في (خ): أعطياتكم، وفي (م): غداً أزيد على عطائكم. والخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ١٣٠ بأطول منه، وفيه عطاياكم. وقد نُسب في (م) لأبي نُعيم.

(٥) نسب هذا القول في (م) لابن سعد، وهو في «طبقاته» ٩/ ٤٥١ دون ذكر سنة وفاته.

(٦) التاريخ الصغير ص١٢٩، (وينظر فيه ص١٣٦). ونسب هذا القول في (م) للبخاري.

(٧) تاريخ دمشق ص٥٢٥. قال ابن عساكر: هذا وهم، بل مات قبل ذلك.

قال محمد بن شعيب[١] عن بعض مشيخة دمشق قال: أقبلنا من أرض الروم إلى دمشق، فمررْنا بالعمير الذي يلي حمص على أربعة أميال منها، فاطَّلع راهبٌ من صومعته فقال: من أين أنتم؟ قلنا: من أهل دمشق، كنَّا بأرض الروم. قال: هل تعرفون أبا مسلم الخَوْلانيّ؟ قلنا: نعم. قال: أقرئوه عني السلام، وأخبروه أنَّا نجد في الكتب أنه رفيق عيسى بن مريم، أَمَا إنكم لا تجدونه حيًّا. فلما أشرفنا على الغوطة بَلَغَنا خبرُ موتِه.

[وهذه الرواية تدلُّ على أنه مات بدمشق].

قال ابن عساكر: والذي دوَّنه العلماء أنه مات بأرض الروم[٢]. ولم يذكر أحدٌ أنه نُقل إلى داريا، وأظنُّ المكان الذي نُسب إليه بداريا قبر عمرو بن عُبيد[٣] الخولاني، فإنه خلف على أمِّ مسلم؛ امرأةِ أبي مسلم، وكان عَمرو من أفضل زمانه.

أسند أبو مسلم عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ بنِ جبل، وعُبادة بنِ الصَّامت، وأبي عُبيدة بن الجرَّاح، وأبي ذرّ، وعوف بنِ مالك، وغيرهم رضي الله عنهم.

وروى عنه أبو إدريس الخَوْلاني، وعُمير بن هانئ، ومكحول، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخُراساني، وجُبير بن نُفير، وأبو العالية الرِّياحي، وأبو قِلابة الجَرْمي في آخرين. رحمة الله عليه[٤].

أبو حُميد السَّاعدي

واسمُه عبد الرحمن [بن] عَمرو بن سَعْد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عَمرو بن الخزرج بن ساعدة، وهو من الطبقة الثانية، من الخزرج[٥].

---

(١) في (م): وقال أبو نعيم: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد قال: وجدتُ بخط أبي نبذة عن محمد بن شعيب... والكلام في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٨، و«تاريخ دمشق» ص٥٢٤، وفيه: وجدتُ في كتاب أبي بخط يده: حُدِّثت عن محمد بن شعيب...، وفي «الحلية»: يحدث، بدل: حُدِّثت.

(٢) لم أقف على قول ابن عساكر هذا.

(٣) كذا في (ب) و (خ) و (م). وفي «تاريخ داريا» ص٧١، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٣١٩: عمرو بن عَبْد. وينظر ترجمة أم مسلم الخولانية في «تاريخ دمشق» ص٥٥٠ (تراجم النساء).

(٤) وروى له مسلم وأصحاب السنن. ينظر «تاريخ دمشق» ص٤٨٣، و«تهذيب الكمال» ٣٤/ ٢٩٠.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٦٧.

شهد أُحُداً مع رسول الله ﷺ، وكان له من الولد: المنذر، وسَعْد، وعَمْرة. وأمُّهم كَبْشَة بنتُ [عَبْد] عَمرو بن عُبيد[١]، خزرجيَّة، وانقرضَ ولده.

أسند عن رسول الله ﷺ أحاديث.

[وليس في الصحابة من كنيته أبو حُميد غيره].

ومن مسانيده: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدُكم المسجد فليقل: اللهمَّ افْتَحْ لي أبوابَ رحمتك. وإذا خرج يقول: اللهمَّ إني أسألك من فضلك»[٢].

عبد المطَّلب بن ربيعة

ابن الحارث بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف.

نزل دمشق، وبنى بها داراً، وكان له من الولد محمد؛ وأمُّه أُمُّ البنين بنت حُمْرَة[٣] ابن مالك؛ هاجر حُمْرَة من اليمن إلى الشام في أربع مئة عبد، فأعتقهم جميعاً، فانتسبوا إلى هَمْدان بالشام، فلذلك كره أهلُ العراق أنْ يُزَوِّجُوا أهلَ الشام لكثرة دَغَلِهم[٤]، ومن انتمى إليهم من غيرهم.

وكان لعبد المطَّلب أروى؛ أمُّها أمُّ عمير بنت مازن[٥].

ولم يزل عبد المطلب بن ربيعة بالمدينة إلى زمن عمر بن الخطاب، ثم تحوَّل إلى دمشق، وهلك بها في أيام يزيد بن معاوية، وأوصى إلى يزيد، فقبلَ وصيَّته.

---

(١) في (ب) و (خ): عمرو، بدل: عُبيد، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٤/ ٣٦٧. وذكرها أيضاً ابن حبان في «الثقات» ٣/ ٣٥٧. ولم يرد هذا الكلام (من أول الترجمة)في (م)، وما سلف بين حاصرتين من «الطبقات».

(٢) أخرجه مسلم (٧١٣) وفيه: عن أبي حُميد، أو عن أبي أُسَيْد. ونُسب الحديث في (م) إلى البخاري، وهو خطأ، فالحديث ليس في «صحيح» البخاري.

(٣) تحرف في (ب) و (خ) في الموضعين إلى: حمزة. وهذا الكلام ليس في (م).

(٤) تحرفت اللفظة في النسختين (ب) و (خ) إلى: دعائهم. وينظر «طبقات» ابن سعد ٤/ ٥٣، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٢٥٦.

(٥) كذا في (ب) و (خ). وفي «الطبقات»: وأمها بنت عمير بن مازن.

أسند عبد المطَّلب الحديث عن رسول الله ﷺ.

عمرو بن الزُّبير

ابن العوَّام، وأمُّه أمُّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، من الطبقة الثانية[١] من التابعين، من أهل المدينة.

وكان أجملَ أهلِ زمانِه، وكان شديد العارضة، منيع الحَوْزَة.

وكان يقال: عمرٌو لا يُكَلَّمُ، ومن يُكَلِّمْ عمراً يندم.

وكان يجلس بالبِلاط، ويطرحُ عصاه، فلا يتخطَّاها أحدٌ إلا بإذنه.

وكان قد اتَّخذ من العبيد مئتين[٢].

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يوقف عَمراً ومصعباً، فينظُر أيُّهما أحسنُ، ثم يقول: ما خلقَ اللهُ شيئاً أحسنَ منكما.

وكان عمرو مغاضباً لأخيه عبد الله يروم ما يرومه[٣].

ولما قدم عمرو بنُ الزبير من المدينة إلى مكة كان يخرجُ فيصلِّي، وعبدُ الله لا يمنعه، ويجلسان فيتحدَّثان، فيقول له عمرو: يا أخي، احْقِنْ دماء المسلمين، وبِرَّ قسم يزيد، وأجعلُ في عنقك جامعةً من فضَّة، فلا يضرُّك، ولا تجعل الناس بعصيانك في بلد حرام وشهر حرام يضرب بعضهم بعضاً، فقال عبد الله: أنا سامعٌ مطيع، وأنت عامل يزيد، وأنا أصلِّي خلفك، فأمَّا أن تجعلَ في عنقي جامعةً وأُقاد إلى الشام؛ فلا ولا كرامة وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه» فراجِعْ يزيد. فقال عمرو: لا والله، ما أَقدِرُ على ذلك.

---

(١) في (ب) و (خ): الثالثة، وهو خطأ، وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٤، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٦٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) في «تاريخ دمشق» ٥٥/ ٧٠ (والكلام فيه): مئين.

(٣) كذا في النسختين (ب) و (خ)، ولم أقف عليه، والترجمة ليست في (م). وجاء في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٧: وكان (يعني عمراً) مباينا لأخيه عبد الله بن الزبير يُظهر عيبه ويُكثر الطعن عليه.

ثم إن عبد الله حبسَ عمراً في حبس عارم[١]، وحبس معه عارماً ـ واسمه زيد[٢] ـ وكانت داراً، فقيل: سجن عارم، وبنى عبدُ الله بن الزبير لعارم بيتاً ذراعين في ذراعين، وأطبق عليه الجصّ والآجرّ بعد أن جعله فيه، وكان عارم مع عمرو بن الزبير.

ونادى منادي ابن الزبير: ألا مَنْ كانت له على عمرو بن الزُّبير ظُلامة، أو قصاص، فلْيحضُرْ. وكان قد ضربَ جماعة بالمدينة. فأحضره عبدُ الله بنُ الزُّبير وقال له: يا عدوَّ الله، المستحلَّ لحرمةِ الله، لَأَضْربنَّك بكل سَوْط ضربتَ به أحداً من الناس.

وطلبَ غرماؤه القصاص إلا المنذر [بن] الزبير[٣]، وابنه محمد، وعثمان[٤] بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فإنَّهم أبَوْا أنْ يقتصُّوا منه.

وكان يُقام كلَّ يوم فيُقتصُّ منه لمن ضربَه ضرباً وثيقاً[٥]. فقام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، فقال: جلدَني مئة سَوْط، وليس بوالٍ، ولم آتِ ذنباً، ولم أخلع يداً من طاعة. فقال له عبد الله: اقتصَّ منه. فضربَه مئة سَوْط. فنَغِلَ جسمُه[٦]، فمات. فأمر به عبدُ الله، فصُلِب[٧].

وقيل: صحَّ من ذلك الضربِ، وأُخرج من السجن، فمرَّ به عبدُ الله بنُ الزبير وهو جالسٌ بفِناء داره وقال: أبا يَكْسُوم[٨]، ألا أراك حيًّا؟! ثم أمر به، فسُحب إلى السجن، فما بلغه حتى مات، فأمرَ به عبدُ الله، فطُرح في شِعْب الخَيْف، وهو المكان الذي صُلِبَ فيه ابنُ الزُّبير من بعد[٩].

---

(١) في (ب) و(خ): عامر، وهو خطأ. وعارم لقب لزيد غلام محمد بن عبد الرحمن بن الحارث، ويقال: غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف. ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥١، و«تاريخ دمشق» ٥٥ / ٧٣.

(٢) في (ب) و (خ): يزيد، وهو خطأ.

(٣) في النسختين (ب) و (خ): المنذر والزبير، والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله. والكلام ليس في (م)، وينظر ما سلف ص ١٧١.

(٤) في (ب) و (خ): عمرو، وهو خطأ.

(٥) كذا في (ب)، وهي مهملة من النقط في (خ) والكلام ليس في (م).

(٦) أي: فسد.

(٧) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٣، و«طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٥، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٧٣.

(٨) أبو يكسوم لقب لأبرهة صاحب الفيل شبّه به أخاه. ينظر «اللسان» (بره).

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٥، وتاريخ دمشق ٥٥/ ٧٣.

ومن ولدِ عمرو بن الزُّبير: الوليدُ بنُ عمرو بن الزُّبير [بن عمرو بن عمرو بن الزُّبير][(١)] كان سريًّا مريًّا، وكان من جلساء مالك بن أنس. ويقال: إنه هو الذي صنَّف له «موطَّأه»[(٢)]. وسعيدُ بنُ عمرو بن الزُّبير [أخوه، روى عن مالك][(٣)].

أبو أُسَيْد السَّاعِديّ

واسمُه مالك بن ربيعة بن البَدِي[(٤)] بن عامر بن عمرو بن حارثة[(٥)] بن عمرو[(٦)] بن الخزرج. وأمُّه عمرة بنت الحارث بن جبل[(٧)].

شهد أبو أُسيد بدراً وأُحُداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكانت معه رايةُ بني ساعِدة يومَ الفتح.

وكان دَحْداحاً، أبيض الرأس واللحية، وكان يُحفي شاربَه، ويلبس خاتماً من ذَهَب[(٨)].

وذهب بصرُه قبل موته، ومات سنة ستين وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة، وله عقبٌ بالمدينة وبغداد.

---

(١) ما بين حاصرتين من «جمهرة نسب قريش» ١/ ٣٤٤، وجاء نسبُه كذلك في ترجمة أخيه سعيد بن عمرو في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٢٩ (مخطوط) وفيه على لفظة «عمرو» الثانية علامة الصحة. وينظر «جمهرة أنساب العرب» ص١٢٥، و«التبيين في أنساب القرشيين» ص٢٦٩.

(٢) أي رتَّب أبوابه، كما في «جمهرة أنساب العرب». وقال القاضي عياض في «ترتيب المدارك» ١/ ٣٧٥: يعني ـ والله أعلم ـ بيَّضه له.

(٣) ما بين حاصرتين من «التبيين في أنساب القرشيين» ص٢٦٩. وجاءت العبارة في (ب) و (خ) بلفظ: (وسعيد بن عمرو بن الزبير ﷺ وأخاه عبد الله بن الزبير وغيرهما من الصحابة ووفد على معاوية وابنه يزيد) وفيه اضطراب بسبب سقط لعله في الكلام على المنذر بن الزبير. ولم يرد هذا الكلام في (م).

(٤) قال المزي في «تهذيب الكمال» ٢٧/ ١٣٩: يقال: إن البَدِي وهم، والصواب: البَدِن. وتحرفت لفظة: البدي في (ب) و (خ) إلى: البدري، والترجمة ليست في (م).

(٥) في «طبقات» ابن سعد ٣/ ٥١٦: بن عامر بن عوف بن حارثة... وفي «تهذيب الكمال» ٢٧/ ١٣٨: بن عمرو ـ ويقال: عامر ـ بن عوف بن حارثة ....

(٦) في «طبقات» ابن سعد: أبي عمرو، بدل: بن عمرو.

(٧) في «الطبقات»: ٣/ ٥١٧: حبل.

(٨) أخرج ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٥١٨ عن حمزة بن أبي أسيد والزبير بن المنذر بن أبي أسيد أنهما نزعا من يد أبي أسيد خاتماً من ذهب.

وكان له من الولد أُسَيْد الأكبر، والمنذر، وغليظ، وأُسَيْد الأصغر، وحمزة، وميمونة، وحبابة[١]، وحفصة، وفاطمة.

أسندَ الحديثَ عن رسول الله ﷺ[٢].

مسلم بن عقيل بن أبي طالب

قد ذكر مقتلُه.

معاوية بن أبي سفيان

ذكره ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة[٣].

[وقال هشام بن الكلبي:] وسبب موته أنه كانت به قَرْحَةٌ ينفثُ منها الدم، وكانت قد أصابته لَقْوَةٌ في آخر [عمرة أو] حجَّة حجَّها، وذلك أنه لَمَّا نزل الأبواء؛ اطَّلع في بئر، فأصابَتْه لَقْوَةٌ، فكان يبكي ويقول: لقد ابتُليت في أحسني[٤]، فرحم الله عبداً دعا لي بالعافية، ولئن ابتُليت فقد ابتُلِيَ الصالحون قبلي، ولي اليوم بضعٌ وسبعون سنة[٥]. فقال له مروان: أجزعت؟ فقال: يا مروان، أخافُ أن يكون هذا عقوبةً من ربِّي، ولولا هوايَ في يزيد لأبصَرْتُ رُشْدي.

[قال المدائني:] وأوصى بنصف ماله أن يُرَدَّ في بيت المال؛ أشار إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه؛ قاسمَ عمَّالَه أموالَهم[٦].

ثم تمثَّل:

---

(١) في (خ): خبابة، وفي «الطبقات»: حبانة.

(٢) روى له الجماعة. ينظر «تهذيب الكمال» ٢٧/ ١٤٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤١٠.

(٤) وفي رواية في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٥ (طبعة مجمع دمشق): ورميت في أحسني وما يبدو منّي. وفي رواية عنده أيضاً ٦٨/ ٣١٦: وابتليت في أحسن ما يبدو منّي.

(٥) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٦ وفيه: وأنا ابنُ بضع وستين.

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ٣٥، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٢٧، وينظر «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢١. وما بين حاصرتين من (م).

إنْ تُناقِشْ يَكُنْ نقاشُك يا ربّ عذاباً لا طَوْقَ لي بالعذابِ
أو تُجاوزْ فأنتَ ربٌّ غفورٌ عن مسيءٍ ذُنوبُه[١] كالترابِ

[قال أبو اليقظان:] ولما احتُضر أنشد:

لَعَمْري لقد عُمِّرْتُ في المُلْكِ بُرْهةً ودانَتْ[٢] ليَ الدنيا بوَقْعِ المآثرِ[٣]
وأُعطيتُ جَمَّ المال والعلم والنُّهَى ودوَّختُ أفناء الملوك الجبابرِ[٤]
فأضْحَى الذي قد كان منّي يسرُّني كبرقٍ مضى في الذاهبات[٥] الغوابرِ
فيا ليتني لم أُمسِ في الملك ليلةً ولا عشتُ في اللذّات عيشَ النواضرِ[٦]
وكنتُ كذي طِمْرَيْن عاش ببُلْغةٍ من العيش حتى زار ضنك المقابرِ

ثم قال: أسنِدُوني. فأسندوه، فكحَلَ عينَيْه وأَذِنَ للناس، فدخلوا للسلام عليه قياماً، فلما خرجوا أنشد:

وتجلُّدي للشَّامِتينَ أُرِيهمُ أنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ
وإذا المنيَّةُ أنشبَتْ مِخْلابَها[٧] ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[٨]

ثم جعل يتمَلْمَلُ ويقول: مالي ولِحُجْرٍ وأصحابِه[٩]، يا ليتني كنتُ رجلاً من قريش بذي طُوى، ولم أَلِ من هذا الأمر شيئاً[١٠].

---

(١) في (ب) و (خ): ذنبه، وهو خطأ. ومن قوله: أشار إلى عمر بن الخطاب... إلى آخر هذين البيتين، ليس في (م)، والبيتان في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٢ و«بهجة المجالس» ٣/ ٣٦٩، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٥.

(٢) في (ب) و (خ): وذلّت. والمثبت من (م) وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٩.

(٣) في «بهجة المجالس» ٣/ ٣٧٠، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٩: البواتر.

(٤) في «تاريخ دمشق»: وسِلْم قماقيم الملوك الجبابر.

(٥) في «تاريخ دمشق»: كحلم مضى في المزمنات. وفيه أيضاً: كلمحٍ مضى ...

(٦) في «بهجة المجالس» و«تاريخ دمشق»:

فيا ليتني لم أُغْنَ في الملك ساعة ولم أُغْنَ في لذات عيش نواضرِ

(٧) في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٣: أظفارها.

(٨) البيتان لأبي ذُؤيب الهُذلي، من قصيدته التي مطلعها: أمن المنون وريبها تتوجّعُ... وهي في «ديوان الهذليين» ص١.

(٩) سلف خبر حُجْر بن عديّ في السنة الحادية والخمسين.

(١٠) تاريخ دمشق ٦٨/ ٣٢٤ و ٣٢٥.

ودخل عليه عمرو بن سعيد [بن العاص] الأشدق، ومعاويةُ ثقيل، فقال عمرو: كيف أصبحتَ؟ فقال: صالحاً. فقال: لقد أصبحت عينك غائرة، ولونُك كاسفاً وأنفك ذابلاً، فاعْهَدْ أيها الرجل [عهدك] ولا تخدعْ نفسَك، فقال:

وهل من خالدٍ إنَّا[١] هلكنا ... وهل في الموت يا لَلنَّاسِ عارُ[٢]

[وحكى المدائني قال:] حسر معاوية عن ذراعيه، فإذا كأنهما عَسِيبا نخل، وقال: هل الدنيا إلا ما جَرَّبْنا وذُقْنا؟ واللهِ لوَدِدْتُ أني لم أُعمَّر[٣] فوق ثلاث حتى ألقى ربي.

ثم قال لابنته رَمْلة: حوِّلي أباك.

ثم قال:

لا يَبْعَدَنَّ رَبِيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ ... وسَقَى الغوادي قبرَه بذَنُوبِ[٤]

فيقال: إنَّ هذا [كان] آخِرَ كلامه.

[وقال الواقدي:] وكان عنده قميصُ رسولِ الله ﷺ، وإزارُه، ورداؤه، وشيءٌ من شَعره، فقال: إذا أنا متُّ، فأَدْرِجوني في هذه الثياب، واحْشُوا منخري وشدقي شعر رسول الله ﷺ، وخلُّوا بين معاوية وبين أرحم الراحمين[٥].

وقال الطبري[٦]: قال معاوية في مرضه: كساني رسول الله ﷺ قميصاً فرفعتُه، وقلَّم أظفارَه، فأخذتُ قُلامَتَه، فجعلتُها في قارورة، فإذا متُّ، فألْبِسُوني قميصَه، واسحقوا تلك القُلامة، وذُرُّوها في عيني وفمي، عسى أن يرحمني ربِّي.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٤: إما.

(٢) أنساب الأشراف ٤/ ١٧٤. والخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٣.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٤: أُغْبَر. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٢٢، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٥٩.

(٤) رُوي البيت لحسان بن ثابت ولغيره. وربيعة بن مُكَدَّم رجل من بني كنانة؛ كان قتلَه أُهبان بن غادية الخزاعي، وقيس تقول: قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَمي، وكان أُهبان أخا نُبَيْشة لأمه. والذَّنوب: الدَّلْو المَلْأى ماءً. ينظر «الكامل» للمبرّد ٣/ ١٤٥٨، و«معجم الشعراء» للمرزباني ص٣٦.

(٥) تاريخ دمشق ٦٨/ ٣٣٠ و ٣٣١.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٠، و«أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٣.

ذكر وصيَّته ووفاته

ولما احتُضر دعا الضَّحَّاكَ بنَ قيس الفِهريّ، وكان صاحب شرطته، ومُسْرِفَ بنَ عقبة المُرِّيّ[١]، وكان يزيد غائباً، فأوصى إليهما وقال: قولا ليزيد: انظر أهلَ الحجاز، فإنهم أهلُك وأصلُك، فأَكْرِمْ مَنْ قَدِمَ عليك منهم، وتعاهَدْ من غاب عنك، وانظرْ إلى أهل العراق، فإنْ سألوك أن تَعْزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإنَّ عَزْلَ عاملٍ واحدٍ أَحَبُّ إليك[٢] من أن تُشْهِر عليك مئة ألف سيف، وأُوصيك بأهل الشام؛ فليكونوا بطانَتك وعَيْبَتَك، فإنْ رابَك شيء من عدوِّك فاستنصرْ بهم، ثم ارْدُدْهم إلى بلادهم، فإنْ هم أقاموا بغيرها أَخذُوا بغير أخلاقهم[٣].

وقال معاوية: مَنْ بالباب؟ فقال مولًى له: نفر من قريش يتباشرون بموتك. قال: ولِمَ؟ فواللهِ ما لهم بعدي إلا الذي يسوءُهم[٤].

واتفقوا على أنه مات بدمشق في رجب سنة ستين؛ قيل: في نصف رجب[٥] ليلة الخميس.

وقيل: لثمان بقين منه، ودُفن بالباب الصغير.

وقيل: بين الباب الصغير وباب الجابية.

[قال هشام:] ولما مات؛ قام الضَّحَّاك بن قيس الفِهْريّ خطيباً على المنبر وعلى يديه أكفان معاوية، فقال: أيها الناس، إنَّ معاوية كان عبداً من عبيد الله، دعاه إليه،

---

(١) هو مسلم بن عقبة، يسميه السلف مُسرفاً؛ لإسرافه في وقعة الحَرَّة، وتحرف في «ب» و (خ) إلى: مسروق. ولم يرد الخبر في النسخة (م).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٢٣: إليَّ. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ١٩٧ أهون عليك.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٣. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٩٧.

(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧١.

(٥) في (م): وإنما اختلفوا في اليوم الذي مات فيه، فحكينا عن ابن سعد أنه مات في نصف رجب.... وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٤.

فأجابه، ونحن مُدْرِجُوه في أكفانه، ومدخلوه في قبره، ومخلُّون[١] بينه وبين ربِّه، فإنْ شاءَ رحمه، وإن شاء عذَّبه، فمن أراد منكم أن يصليَ عليه فليحضر وقتَ الظهر.

ثم حضروا، وتقدَّم الضحاك، فصلّى عليه، وجدَّد البيعة ليزيد على الناس.

واختلفوا في سنِّه على أقوال: أحدُها: ثمانون سنة.

والثاني: اثنتان وثمانون سنة [ذكره البلاذري].

والثالث: ثمان وسبعون سنة [قاله ابن الكلبي].

والرابع: خمس وسبعون سنة [قاله عمر بن شبَّة].

والخامس: ثلاث وسبعون [قاله علي بن محمد].

والسادس: خمس وثمانون. [حكاه الطبري عن هشام بن محمد عن أبيه.

قالوا:] والأصحُّ ما بين سبع وسبعين إلى ثمان وسبعين[٢].

[وعام الفتح كان ابن عشرين سنة إن ثبت ذلك].

ذكر [خلافته] وأيامه

كانت ولايتُه على الشام عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة[٣].

وذكره الهيثم بن عدي قال: وقف عبد الملك بن مروان على قبره وعليه ثُمامة نابتة[٤]، فقال: قاتلَ الله الدنيا ومن يغترُّ بها، هذا عاشَ عشرين سنة أميراً، وعشرين سنةً خليفة، ثم صار أمره إلى هذا. فللهِ درُّ [ابن] حَنْتَمَة[٥]. يعني عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

---

(١) في (ب) و (خ) و (م): ومخلوا، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٢٨، والخبر فيهما بنحوه.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٥ و ١٧٦، و«طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٤، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٦٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٤٠ ـ ٣٤١. وما سلف وما سيرد بين حاصرتين من (م).

(٣) التبيين في أنساب القرشيين ص٢٠٦، ونسب ابن قُدامة الكلام فيه لابن إسحاق، ونُسب الكلام في (م) لابن سعد، ولفظه في «الطبقات» ٦/ ٣٤ عن عبد الملك بن مروان أنه وليَ أربعين سنة أميراً وخليفة.

(٤) الثُّمامة واحدة الثُّمام، وهو نبت ضعيف، يصل طوله إلى (١٥٠سم) فروعه مزدحمة متجمعة.

(٥) حَنْتَمة أمُّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقوله: فلله در ابن حنتمة... ليس في (م).

[قال أبو معشر:] وبُويع له بالخلافة سنة إحدى وأربعين في جمادى الأولى، وتوفي في رجب سنة ستين، وكانت خلافتُه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر[١].

وقيل: وسبعة وعشرين يوماً.

وقيل: تسع عشرة سنة إلا أياماً.

ولما وقف عبد الملك على قبره أنشد:

هل الدهرُ والأيامُ إلا كما ترى ... رَزِيَّةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ[٢]

ذكر قدوم يزيد

[قال أبو اليقظان:] لما مات معاوية كان يزيد بحُوَّارِين ونواحي ذَنَبَةَ والماطِرُونِ[٣] مشغولاً بلهوه وصيده، فكتب إليه الضَّحَّاك بن قيس يحثُّه على القدوم، ويخبره بمرض أبيه، فلما قرأ الكتاب قال:

جاء البريدُ بقِرْطاس يَخُبُّ بِهِ ... فأوْجَس القلبُ من قِرطاسه فَزَعا

قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكُمْ ... قال[٤]: الخليفةُ أمسى مُثْبَتاً وَجِعا

فمادَتِ الأرضُ أو كادَتْ تميدُ بنا ... كأنَّ أعْيَنَ[٥] من أركانها[٦] انقطعا[٧]

مَنْ لا تَزَلْ نفسُه توفي على تَلَفٍ[٨] ... تُوشِكْ مقاليدُ تلك النفسِ أنْ تقعا

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٤.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٤٢. قوله: رزيَّة، أي: مصيبة.

(٣) حُوَّارين: من أعمال حمص، وذَنَبَة والماطِرون: موضعان من أعمال دمشق. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٣١٦ و ٣/ ٨ و ٥٥/ ٤٢.

(٤) في «العقد الفريد» ٤/ ٣٧٢، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٢٨، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣١: قالوا.

(٥) هو حصن باليمن، وأثبتُّ اللفظة من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٣، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣٣، ورسمُ الكلمة في (ب) و (خ) أقرب إليها، ووقع في (م): ركن. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٥، و«التعازي والمراثي» ص١١٩، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٧٣، و«تاريخ» الطبري٥/ ٣٢٨، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣١: أغبر.

(٦) في «أنساب الأشراف»: أركانه.

(٧) في «أنساب الأشراف» و«طبقات» ابن سعد و«العقد الفريد» و«تاريخ دمشق»: انقلعا. وفي «التعازي والمراثي»: انصدعا.

(٨) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٣، و«التعازي والمراثي»، و«تاريخ» الطبري و«تاريخ دمشق»: شرف. وفي «أنساب الأشراف»: تشفي بدل: توفي. ولم يرد هذا البيت، ولا الأبيات الخمسة الأخيرة في (م).

لَمَّا انتهينا وبابُ الدارِ منصفقٌ ... لصوت رَمْلَةَ رِيعَ القلبُ فانصدعا
ثم انْبَعَثْنا على خُوصٍ مُزَمَّمةٍ ... نرمي العَجاجَ[1] بها لا نأْتَلِي سَرَعا
وما نُبالي إذا بلَّغْنَ أرْحُلَنا ... ما ماتَ منهنَّ بالبَيْداء[2] أو ظَلَعا
أوْدَى ابنُ هندٍ وأَوْهَى المجدُ يتبعُهُ ... كيما يكونا جميعاً قاطنَيْنِ معا[3]
أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغمامُ به ... لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا
لا يرقعُ الناسُ ما أَوْهَى ولو جَهَدُوا ... أنْ يرقعوه ولا يُوهون ما رَقَعا[4]

[وقال الطبري[5]: مات معاوية ويزيد بحُوَّارِين، فكتبوا إليه حين مرض].

وأقبل يزيد وقد دُفن، فأتى قبرَه، فصلَّى عليه، ثم دعا له، وأتى منزلَه، وأقام ثلاثاً لا يخرج منه، ثم خرج وعليه أثر الجَزَع، فصعد المنبر [وقام الضحاك بن قيس إلى جانب المنبر] فخاف عليه من الحَصَر[6]، ففطنَ يزيد، فقال: يا ضحَّاك، أجئتَ تعلِّم بني عبد شمس الكلام؟!.

ثم خطب فقال: أيها الناس، إن معاويةَ كان عبداً لله، أنعم عليه، ثم قبضه إليه، ولا أُزكِّيه على الله، هو أعلم به، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه. ثم نزل.

وقيل: إنه قال: الحمد لله الذي ما شاء صنع، ومن شاء أعطى ومن شاء منع، ومن شاء خفض ومن أراد رفع. إنَّ معاويةَ كان حبلاً من حبال الله، مدَّهُ ما شاء أن يَمدَّه، ثم قطعه حيث أراد قَطْعه، وكان دونَ مَنْ كان قبلَه، وخيراً ممن يأتي بعده. وقد صار إلى الله، فإنْ شاء عفا عنه، وإن شاء [رَحِمَه، وإنْ] عاقبَه فبذنبه، وإنْ رَحِمَه فبفضله. وقد

(١) في «أنساب الأشراف» و«التعازي»: الفجاج.
(٢) في «العقد الفريد» ٤/ ٣٧٣ و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣١: بالمَوْماة، وهما بمعنى. يعني المفازة.
(٣) في الشطر الثاني للبيت بعض اختلاف عن المصادر.
(٤) البيتان الأخيران في «ديوان الأعشى» ص١٥٧ و ١٦١ بنحوهما.
(٥) ينظر «تاريخه» ٥/ ٣٢٨. وسلف نحوه قريباً، وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦. والكلام بين حاصرتين من (م).
(٦) أي: العِيّ. والحَصَر أيضاً ضيق الصدر. وما سلف بين حاصرتين من (م).

وَلِيتُ الأمرَ بعدَه ولستُ أعتذرُ من جهل، ولا آسَى[١] على طلب[٢]، فإنْ أحبَّ اللهُ شيئاً يسَّره، وإن كرهه غيَّره. ثم نزل. فلم يقدر[٣] أحدٌ على تعزيته. فقام عبد الله بن همَّام السلولي فقال:

اِصْبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ[٤] ... واشْكُرْ حِباءَ[٥] الذي بالملكِ حاباكا
لا رُزْءَ أعظمُ في الأقوام قد علموا ... مِمَّا رُزِئتَ ولا عُقبى كعُقْباكا
أصبحتَ راعيَ أهلِ الأرضِ كلِّهِمُ ... فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرعاكا
وفي معاويةَ الباقي لنا خَلَفٌ ... إذا بَقِيتَ ولا نَسْمَعْ بمنعاكا[٦]

فانفتح باب الكلام.

ثم كتب يزيد قبل كلّ شيء كتاباً إلى الوليد بن عتبة [بن أبي سفيان] بأخذِ البيعة على الحسين، وابنِ عمر، وابن الزبير رضي الله عنهم [وقد ذكرناه].

ذكر جملة من أخبار معاوية:

لما بُويع بالخلافة ولَّى شرطتَه قيس بن حمزة الهَمْداني، ثم عزلَه، وولَّى زُميل بن عمرو العُذْرِيّ[٧]، وولَّى كتابته سرجون بن منصور الرومي، وولَّى حجابته سعداً مولاه، وولَّى القضاءَ فَضالَةَ بن عُبيد الأنصاريّ، فمات، فاستقضى عائذ الله أبا إدريس ابن عبد الله الخَوْلانيّ.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٧٥: أَنِي.

(٢) في (ب) و (خ) و (م): طلب علم! والمثبت من المصادر. ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦، و«طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٢، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٧٥، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣٤.

(٣) في (م): يقدم.

(٤) في (ب) و (خ)، و«أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٧: ثقة، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «العقد الفريد» ٤/ ٢٧٤، والمِقَة: المحبَّة.

(٥) في «أنساب الأشراف»: عطاء، وهما بمعنى.

(٦) العقد الفريد ٤/ ٣٧٤. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٧.

(٧) هو زَمْل، أو زُميل بن عمرو، أو: بن ربيعة، له صحبة، ينظر «الإصابة» ٤/ ١٦. ووقع في (ب) و (خ): زياد بن عمرو العدوي، وهو خطأ، والكلام ليس في (م).

ومعاويةُ أوَّلُ من اتَّخذَ الحَرسَ؛ قال معاوية: لَمَّا ولَّاني عمر بنُ الخطاب الشام قالت لي أمي هند: يا بنيّ، إن هذا الرجلَ قد استعملك على أمر خطير، فاعمَلْ فيه بما يُوافقه؛ كرهتَه أو أحبَبْتَه، وإياك ومخالفتَه، فيكونَ ذلك سبباً لنفوره عنك وإزالة النعمة. ففعلتُ ما أمَرَتْني به، فرأيتُ عليه الخير والبركة ودوامَ الولاية.

وقال لي أبي: يا بني إنَّ هؤلاء الرهطَ من المهاجرين سبقونا وتأخَّرْنا، فرفَعهم سَبْقُهم، وقصَّر بنا تأخُّرُنا، حتى صِرْنا أتباعاً، وصارُوا قادةً، وقد قلَّدوك جسيماً من الأمر، فلا تُخالفنَّ رأيَهم، فإنك تجري إلى أمدٍ لو بلغتَه لَنَفُسْتَ فيه[1].

فعجبتُ من اختلافهما في اللفظ، واتفاقهما في المعنى[2].

ومعاويةُ أوَّلُ من بنى الخضراء[3] بدمشق، وأقام بها أربعين سنة، وهو أوَّلُ من اتخذ ديوان الختم على الإطلاقات، وكان على ديوان الختم عبدُ الله بن مِحْصَن الحميري[4]، وهو أول من استكتب الدية، ثم ابنه يزيد[5].

دخل عبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهما يوماً على معاوية وعنده جماعة من بني هاشم، فقال معاوية: بم تفخرون علينا يا بني هاشم؟ أليس الأبُ واحداً، والأمُّ واحدة، والدارُ واحدة؟ فقال له ابن عباس: نفخرُ عليك وعلى سائر الناس برسول الله ﷺ، فإنك لا تستطيع له إنكاراً، ولا تَرِيمُ عنه نِفاراً. فقال له معاوية: لقد أُعطيتَ لساناً ذَرِباً؛ تكاد تغلبُ بباطلك حقَّ غيرك، على أنّي أُحِبُّك لأربع؛ مع مغفرتي لك أربعاً.

أمَّا حبِّي إيَّاك فلقرابتك.

وأما الثانية: فلأنَّك من أسرتي الذين أتقوَّى بهم.

وأما الثالثة: فإنك لسانُ قريش.

أما الرابعة: فلأن أباك كان خِلًّا لأبي.

---

(١) في «العقد الفريد» ٤/ ٣٦٥: لتنفَّسْتَ فيه.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٦٥.

(٣) هي دار الإمارة.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٠.

(٥) لم أقف عليه.

وأما الأربع التي غفرتُ لك:

فقتالك لي يوم صفِّين، ومعاداتك لي فيمن عاداني.

وأما الثانية: فخِذْلانُك لعثمان مع مَنْ خَذَل.

وأما الثالثة: فسَعْيُك على أمِّ المؤمنين عائشة فيمن سعى.

وأما الرابعة: فنفيُك أخي زياداً عني فيمن نَفَى.

ووجدتُ اللهَ يقول: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] وقال الشاعر[١]:

ولستَ بمُسْتَبِقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ، أيُّ الرِّجالِ المهذَّبُ؟

فعفوتُ عن هذه الأربع لتلك الأربع، وكنتُ كما قيل:

سأَقْبَلُ مِمَّن قد أتى بجميلةٍ ... وأصفحُ عما كان من قبل ذلكَ[٢]

فَتَشَزَّنَ[٣] ابنُ عباس مستشرفاً على الجماعة، ثم قال: أمَّا محبَّتُك لي لقرابتي [من رسول الله ﷺ؛ فذلك الواجب عليك وعلى كل من آمن برسول الله ﷺ ...][٤].

وأمَّا قولك: إني من أسرتك، فما زلتُم أتباعاً لنا في الجاهلية والإسلام.

وأما قولك: إني لسانُ قريش [فإني لم أُعط من ذلك شيئاً لم تُعْطَه، ولكنك قلت ذلك لشرفك وفضلك، كما قال الأول:][٥]

فكلُّ كريمٍ للكريمِ مُفَضِّلٌ ... يراهُ له أهلاً وإن كان فاضلا

وأما قولُك: إن أبي كان خِلًّا لأبيك؛ فأقول:

سأحفظ مَنْ آخى أبي في حياتِه ... وأرْمُقُهُ من بَعْدِه في الأقاربِ

وإنِّي لمن لا يحفظُ الوُدَّ قالياً ... ولستُ له في النائباتِ بصاحبِ

---

(١) هو النابغة الذبياني، والبيت في «ديوانه» ص١٨.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أي: تأهَّب وتهيَّأ.

(٤) استدركتُ ما بين حاصرتين ما يلزم لإتمام السياق من «التذكرة الحمدونية» ٩/ ١٨٢، والخبر فيه بنحوه، ولم يرد في (م).

(٥) ما بين حاصرتين من «التذكرة الحمدونية».

وأما قولك: إني كنتُ يوم صِفِّين عليك؛ فلو لم أفعلْه لكنتُ شرَّ الناس.

وأما قولك: إني خذلتُ عثمان؛ فقد علمتَ أنه ولَّاني الموسم في العام الذي حُصر فيه، ولم أشهد قتلَه، على أنه قد خَذَله من كان أقربَ إليه منِّي. يشير إلى معاوية.

وأما قولك عن عائشة؛ فإن الله أمرَها بالقَرار في بيتها، وأن تحتجب في سِتْرها، فلما خالفَتِ الأمر وَسِعَنا ما كان منا إليها.

وأما نفي زياد عنك؛ فإنَّ النبي ﷺ فعل ذلك بقوله: «الولد للفراش، وللعاهر الحَجَر»[1] وأنتَ عكستَ ذلك.

وقال معاوية يوماً في مجلسه: مَنْ أفصحُ الناس؟ فقامَ رجل فقال: قوم تَيامَنُوا عن طُمْطُمانِيَّةِ حِمْيَر، وتَياسَرُوا [عن] كَسْكَسَةِ بكر، وليس فيهم غَمْغَمة قُضاعة[2]. قال: مَنْ هم؟ قال: قومُك قريش. قال: صدقت، فممَّن أنت؟ قال: من جَرْم. قال[3]: جَرْمٌ أفصحُ الناس.

ولما بلغ معاويةُ السبعين كان يقول: ما من شيءٍ كنتُ أستلذُّه مع الشباب فأجده اليوم كما أُحبُّ إلا الحديث الحسن.

ثم قال:

مَنْ عاش أخْلَقَتِ الأيامُ جِدَّتَهُ ... وخانَه ثقتاه السمعُ والبصرُ[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨١٧)، و(٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٧)، و(١٤٥٨) من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما (على الترتيب).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة ضرورية. ورواية الخبر في «الكامل» ٢/ ٧٦٥ بلفظ: (قوم تباعدوا عن فُراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طُمْطُمانِيَّة حِمْيَر). اهـ. فكَشْكَشَةُ تميم: إبدالُهم من كاف المؤنّث شيناً عند الوقف، والتي يُدْرِجُونها يَدَعُونَها كافاً، فيقولون للمرأة: جعل الله البركة في دارِش، وويْحَكِ مالِش. وأما كسكسة بكر، فأكثرهم يُبَيِّنُون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين، فيزيدونها بعدها، فيقولون: أَعْطَيْتُكِسْ، وقليل منهم يُبْدلون من الكاف سيناً كما فعل التميميُّون في الشين. وأما الغمغمة، فهو أن تسمع الصوتَ ولا يتبيَّن لك تقطيعُ الحروف، وأما الطمطمة؛ فهو أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم. ينظر «الكامل» ٢/ ٧٦٢ ـ ٧٦٦.

(٣) في «الكامل» ٢/ ٧٦٥، و«العقد الفريد» ٢/ ٤٧٦: قال الأصمعي... (والأصمعي راوي الخبر). وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٠.

(٤) ينظر «العقد الفريد» ٣/ ٥٧.

وقال معاوية لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: لقد هممتُ أن أُوَلِّيَكَ الكوفة غير مرة، وما يمنعني من ذلك إلا أني قلت: أُوَلِّيه، فيقول في نفسه: أنا ابنُ زيد الشهيدِ يومَ اليمامة، وأحدُ أبناءِ المهاجرين الأولين البدريّين، [وعمي الفاروق أميرُ المؤمنين، وأنا أحقُّ بالأمر من معاوية. قال: لو ولّيتني لقلتُ ذلك، وأنا أقوله الآن. فضَحِكَ معاوية][1].

قال معاوية لعمرو: أيُّنا أدهى؟ قال عَمرو: أمَّا في البديهة فأنا، وأما في الأناة فأنت. فقال: ادْنُ مني أُسارُّك بشيء. ولم يكن ثَمَّ ثالث. فأدنى إليه عَمرو رأسَه، فقال: غلبتُك أيها الداهية، وهل عندنا أحدٌ أُسارُّك دونه[2] ؟!.

وركب معاويةُ يوماً ناقةً، وركب سُليم مولاه جملاً، وكان من الدُّهاة، فَعَلا جملُ سُليم ناقة معاوية، فقال له معاوية: انزل يا سُليم عن بعيرك. فنزل، فركبه معاوية، وأعطاه ناقته فركبها، وقال له: يا سُليم، أنتَ تزعم أنك أدهى العرب وقد غلبتُك. فقال سُليم: أنسيتَ تحويلَك من مركبك، وركوبي إياه؟! فخجل معاوية[3].

وقال معاوية لرجل من سبأ: ما كان أجهلَ قومُك حيث ملَّكوا عليهم امرأة وقالوا: ﴿بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] فقال له الرجل: فقومُك أجهلُ حيث قام رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله فقالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] هلَّا قالوا: فاهْدِنا[4].

ومعاوية أوّل من منع الخِصْيان الكبار من الدخول على الحُرَم؛ دخل يوماً على امرأته فاختة ـ وقيل: ميسون ـ وهي مكشوفة الرأس ومعه خَصِيّ، فغطَّتْ رأسَها، فقال: إنَّه خَصِيّ. فقالت: أَتَرى المُثْلَةَ التي حَلَّتْ به أَحَلَّتْ ما حَرَّمَ الله عليه؟! فاسترجع معاوية، وعلم أنه الحقّ [فمنع الخِصْيان الكبار من الدخول على النساء.

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٤٣. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٣٧.

(٣) بنحوه في المصدر السابق ٤/ ٤٢.

(٤) أنساب الأشراف ٤/ ٧٢. والعقد الفريد ٤/ ٢٧.

وقال ابن سعد:] لبس معاوية يوماً حُلَّةً خضراء، فقام إليه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فجعلَ يضربُه بالدِّرَّة ومعاويةُ يقول: فيم؟! فيم؟! فقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أردتَ بهذا؟ فقال: أردتُ أن أضعَ منه[١].

دخل أبو الطُّفيل على معاوية فقال له: كيف وَجْدُك على خليلك أبي الحسن[٢]؟ فقال: كَوَجْدِ أمِّ موسى عليه السلام، وإلى الله أشكو تقصيري. فقال: أكنتَ فيمن حضرَ قتلَ عثمان؟ قال: لا، ولكنّي ممَّن لم ينصره. قال: فما منعكَ من نُصْرتِه وقد كانت واجبةً عليك؟ قال: منعني ما منعَك إذ تربَّصتَ به رَيْبَ المَنُون. قال: أوَ ما ترى طلبي بثأره؟ قال: بلى، ولكنك وأنا كما قال الجعفي[٣]:

لا أُلْفِيَنَّكَ بعدَ الموتِ تَنْدُبُني ... وفي حياتيَ ما زَوَّدْتَني زادي[٤]

وذكر المسعودي[٥] أن رجلاً دخل على معاوية، وكان من أهل الكوفة قد قدم دمشق، فقال: أنا رجلٌ من أهل العراق، دخلت مدينتك وتحتي بعير، فتعلَّق بي رجل وقال: هذه ناقتي أُخذت مني يوم صفِّين.

فقال معاوية: [عليَّ بالرجل. فجاء ومعه خمسون رجلاً من أهل دمشق، فشهدوا عند معاوية] أنها ناقتُه، فقال الرجل: أما تُفرِّقون بين الذكر والأنثى؟! فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودفع البعير إلى الشامي.

ثم خلا معاوية بالرجل صاحب البعير وقال له: [كم قيمةُ بعيرك؟ فقال: كذا وكذا. فأضعفه له، وقال له: اذهب إلى ابن أبي طالب وقل له:] يقول لك معاوية: إني أقاتلُك بمئة ألف لا يفرِّقون بين الجمل والناقة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ١٨ بأطول منه، وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) كذا في (ب) و (خ) (والكلام ليس في م). والبيت لعَبِيد بن الأبرص، وهو في «ديوانه» ص٦٣، والبيت أيضاً لحارثة بن بدر الغُداني، وذكره ابن عساكر ضمن أبيات في ترجمته في «تاريخ دمشق» ٤/ ٨٥ (مصورة دار البشير). وينظر «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» ص٢٧١.

(٤) مروج الذهب ٥/ ٤٤. والخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٦، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٠، و«تاريخ دمشق» ص٤٦٠ ـ ٤٦١ (طبعة مجمع دمشق، ترجمة أبي الطُّفيل عامر بن واثلة).

(٥) في «مروج الذهب» ٥/ ٧٩. وما سيرد بين حاصرتين من (م).

وقال المسعودي[١]: لقد بلغ من طاعة أهل الشام لمعاويةَ أنَّه صلَّى بهم عند مسيره إلى صفِّين الجمعةَ يومَ الأربعاء.

وقيل: إنه قال لهم يوم الجمعة: اليوم لنا عذر. وصلَّى بهم يوم السبت.

[وحكى الأصمعي قال:] خاطَرَ[٢] رجل رجلاً على أن يقوم إلى معاوية فيضع يده على كَفَلِه[٣] إذا سجد ويقول: ما أشبهَ عجيزتَك بعجيزة [أمِّك] هند. ففعل الرجل ذلك، فقال له معاوية: يا ابن أخي، إن أبا سفيان كان يعجبُه ذلك منها، فإنْ كنتَ قد خاطرتَ؛ فخُذْ ما خاطرتَ عليه.

ثم نزل ذلك الرجل ومعه الرجل الآخر إلى العراق، فتخاطَرا على أن يقومَ إلى زياد وهو في الخطبة، فيقول له: مَنْ أمُّك[٤]؟ فقام إليه وسألَه، فقال له زياد: هذا يخبرُك. وأشارَ إلى صاحب شرطته. فأخذه وضرب عنقَه. وبلغ معاويةَ، فقال: أنا قتلتُه، لو أدَّبْتُه في الأولى ما عاد إلى الثانية.

وأُتيَ معاويةُ بسارق، فأمرَ بقطع يده، فقال السارق:

يَدِي يا أميرَ المؤمنين أُعِيذُها ... بعفوِك أن تُلْقَى مكانا يَشِينُها
ولا خيرَ في الدنيا ولا في نعيمها ... إذا ما شِمالٌ فارقَتْها يمينُها

وجاءت أمُّه تبكي وتقول: واحدي وكاسبي، اُعْفُ عنه [يا أمير المؤمنين] عفا الله عنك. فقال: حدٌّ من حدود الله، كيف أتركُه؟! فقالت: أَمَا لك ذنوبٌ تستغفرُ الله منها؟! قال: بلى. قالت: فاجْعَلْ هذا منها. فأطلقَه[٥].

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٨٠.

(٢) أي: راهن. والخبر في «العقد الفريد» ١/ ٥٣. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) أي: عَجُزِه.

(٤) في «العقد الفريد» ١/ ٥٤: مَنْ أبوك؟

(٥) أنساب الأشراف ٤/ ١٤١ ـ ١٤٢. والخبر في «العقد الفريد» ٢/ ١٦٧ وفيه: عبد الملك بن مروان، بدل: معاوية.

عاتبَ عمرو بنُ العاص معاوية في التأنِّي، فقال معاوية: المتثبِّتُ مُصِيبٌ، والعَجِلُ مخطئٌ، ومَنْ لم ينفعه الرِّفْقُ؛ ضرَّه الخُرْق، والعاقلُ مَنْ سَلِمَ من الزَّلَل بالتثبُّتِ خوفاً من زَلَّة القَدَم، ولا يزال العَجِلُ يجني ثمرة الندم[١].

وكان معاوية يقول: إياك وصحبةَ المُدْبِر، فإنه غيرُ موفَّق لطريق الرُّشد، فإنك إنْ صحبتَه عَلِقَ بك إدبارُه، وإنْ فارقتَه تَبِعَتْك آثارُه.

[قلت: هذا من كلام أرسطا طاليس، ولعل معاوية حكاه عنه].

وكان معاوية يقول: لو كان بيني وبين العالم شعرة؛ ما انقطعت، إنْ مدُّوا أَرْخَيْتُ، وإنْ أَرْخَوا مددت[٢].

وكان يقول: إني لأرفعُ نفسي أن يكون ذنب أعظمَ من عفوي، وجهلٌ أكبرَ من حلمي، أو عورة لا أسترُها بستري، أو مساءة أكبر من إحساني[٣].

[قال ابن الكلبي:] وكتب إليه ملك الصين يتهدَّدُه، فقال: من ملك الصين الذي تحتَ يده ألفُ مَلِك، وفي مَرْبطه ألف فِيل، وله ألفُ مدينة، وتحته ألفُ امرأة من بنات الملوك، كلُّ امرأة في قصر من ذهب، وفي مملكته نهران يُخرجان الجوهر والياقوت، وفي مملكته ألفُ جزيرة تُنبت العود والقرنفل، وحصباؤُها اللؤلؤ والمرجان، وفي مملكته ألفُ معدن يُنبت الذهب والفضة.

فكتب إليه معاوية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾. فقرأ كتابَه ملكُ الصين، فاقشعرَّ جلدُه، ووَجِلَ قلبُه، وسكت عنه.

وكان معاوية يقول: أُعِنْتُ على عليّ بكتماني لسرِّي، ونَشْرِ أمرِه، وبطاعةِ أهل الشام، وعصيانِ أهل العراق له، وبَذْلي المال، وإمساكه إياه[٤].

---

(١) تاريخ دمشق ٦٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩١. ولم يرد هذا الخبر في (م).

(٢) ينظر «العقد الفريد» ٤/ ٣٦٤.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٢. وينظر «العقد الفريد» ٢/ ٢٧٨. ولم يرد هذا القول ولا الذي قبله في (م). وما سلف قبلهما بين حاصرتين منها.

(٤) أنساب الأشراف ٤/ ٢٣ ـ ٢٤. وينظر «العقد الفريد» ٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

قال: ما غضبي على مَنْ أملكُ وأنا قادرٌ عليه، ولا غضبي على مَنْ لا أملكُ ولا تناله يدي[١].

وقال عمرو بن العاص يوماً لمعاوية: قد أعياني أن أعلم أشجاعٌ أنتَ أم جبان. قال: ولم؟ قال: لأني أراك تُقْدِمُ حتى أقول: أراد القتال، ثم تتأخَّر حتى أقول: قد أراد الفرار. فقال معاوية: ما أُقْدِمُ حتى أرى التقدُّم غُنماً، ولا أتأخَّرُ حتى أرى التأخُّر حزماً. وأنشد للطائيّ:

شُجاعٌ إذا ما أمكَنَتْني فُرْصَةٌ وإلا[٢] تكن لي فُرصةٌ فجبانُ[٣]

وقال معاوية حين مات أخوه عُتبة: لولا أنَّ الدنيا بُنيَتْ على نسيان الأحبَّة؛ ما نَسِيتُ عُتبةَ أبداً[٤].

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: رأيتُ في المنام كأنَّ القيامةَ قد قامت، وأنت تُحاسَبُ، وقد ألجمَكَ العرقُ. فقال معاوية: أما رأيتَ هناك دَخْلَ مصر[٥]؟!.

وقال معاوية لعبد الرحمن بن أمّ الحكم[٦]: قد بلغني أنك لهجت بالشعر، فإيَّاك والتشبُّبَ بالنساء، فتَغُرَّ[٧] الشريفة، وإياك والهجاء؛ فإنك تهجو[٨] به كريماً، وتستثير[٩] به لئيماً، وإياك والمدحَ، فإنه طُعْمَةُ الدنيء الوَقِح، ولكن عليك بمفاخر قومك، وذكرِ الأمثال السائرة مما تَزِينُ به نفسَك، وتستدلُّ به على صحة عقلك، وتؤدِّبُ به غيرَك.

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ١٣٥. وينظر «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٦٧.

(٢) في (م): وإن لم.

(٣) مروج الذهب ٥/ ٤٨ وتاريخ دمشق ٦٨/ ٢٩١، وينظر «العقد الفريد» ١/ ٩٩.

(٤) ينظر «العقد الفريد» ٣/ ٢٤٤. ونُسب الكلام في (م) إلى المدائني.

(٥) ينظر «عيون الأخبار» ١/ ٣١٨، وفيه: هل رأيت شيئاً من دنانير مصر؟ وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٩٣.

(٦) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٠: لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص.

(٧) في (ب) و (خ): فتغير. والمثبت من المصدر السابق. ولم يرد هذا الخبر في (م).

(٨) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٠: تهجن، وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٣٦: تعرّ.

(٩) في (ب) و (خ): تستر، والمثبت من المصدرين السابقين.

وقال معاوية[١]: من كَتَمَ سِرَّه كان الخِيارُ له، ومن أفشاه كان الخِيارُ عليه[٢].

وقال: أنا أعلم بأغلى شيء في السوق وأرخصِه. قالوا: ما هو؟ قال الجيِّد رخيص، والرديءُ غالٍ[٣].

[قال الواقدي:] وكان يقول: ما من عدوّ إلا وأنا قادر على مداراته واستصلاحه، إلا عدوَّ نعمةٍ وحاسدَها، فإنه لا يُرضيه مني إلا زوال نعمتي، فلا أرضاه الله أبداً[٤].

ذكر بعض واقعاته مع عبد الله بن الزبير[٥]:

دخل الحسين رضي الله عنه على معاوية ومعه مولاه ذكوان، وعند معاوية جماعةٌ من قريش، منهم عبد الله بنُ الزبير، فأجلسَه معاويةُ معه على سريره، ورحَّبَ به، وقال له: يا أبا عبد الله، تَرَى هذا القاعدَ ـ وأشار إلى ابن الزبير ـ سيدركُه الحسد لبني عبد مناف.

فقال ابنُ الزبير: أمَّا الحُسين؛ فقد عَرَفْنا فضلَه وقرابتَه من رسول الله ﷺ، فإنْ شئتَ أَنْ أُعَرِّفَك فضلَ الزُّبير على صخر بن حرب؛ فعلتُ. فقال ذكوان مولى الحسين رضي الله عنه: يا ابنَ الزُّبير، إنَّ مولايَ ما منعَه من الكلام إلا أنه كُفي بغيره، وإلا فهو طَلْقُ اللسان، رابطُ الجَنان، إنْ تكلَّم؛ تكلَّمَ بعلم، وإنْ صمتَ؛ صمتَ بحِلْم، فأنا القائل فيه:

إنَّ الذي يجري لِيُدركَ شأْوَهُ ... يُنْمَى لغير مُسَوَّدٍ ومُسَدَّدِ[٦]

بل كيف يُدركُ نورَ بدرٍ ساطعٍ ... خيرِ الأنام وفَرْعِ آلِ محمدِ

جَزْل الكلامِ وسابق في علمِهِ[٧] ... والناسُ بين مُقَصِّرٍ ومُبَلِّدِ

---

(١) في (م): وقال المدائني: كان معاوية يقول.

(٢) أنساب الأشراف ٤/ ٣١. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤١٠) من كلام عتبة بن أبي سفيان لابنه الوليد عندما أخبره أن معاوية أسرَّ إليه حديثاً. وكذا أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» في ترجمة الوليد.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٢.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٧٦.

(٥) لم ترد هذه الفقرة في (م).

(٦) في (ب) و (خ): ومسود. والمثبت من «العقد الفريد» ٤/ ١٥.

(٧) في «العقد الفريد» ٤/ ١٥: فيم الكلامُ لسابق في غايةٍ. وجاء هذا البيت فيه أول الأبيات الثلاثة.

فقال معاوية: صدقتَ يا ذكوان، أكثرَ اللهُ في موالي الكرام مثلك. فقال ابن الزُّبير: إنَّ أبا عبد الله سكتَ، وتكلَّم مولاه، ولو تكلَّم لأجبناه وكَلِفْناه[١]، فإنه لا جوابَ لهذا العبد.

فقال ذكوان: هذا العبدُ خيرٌ منك، وأكرمُ وَلاءً، وأحسنُ أفعالاً.

وقال معاوية: قاتلكَ الله يا ابنَ الزُّبير، ما أَعْتاكَ وأبغاك! أتريد أن تفتخر بحضرة أبي عبد الله؟! لأنتَ المتعدِّي لطَوْرِك، فقس شِبْرَكَ بفِتْرِكَ، وانظر أين تقعُ من بني عبد مناف، أما واللهِ لو وقعتَ في بحور بني هاشم وبني عبد مناف لَتغطِّينَّك[٢] بأمواجها، ثم لَتلقينَّك في أُجاجِها[٣]، فما بقاؤك في البحور إذا غَمَرَتْك؟ وفي الأمواج إذا قَبَرَتْك[٤]؟ فحينئذ تعرفُ نفسَك، وتندمُ على ما كان من جُرْأتك، وتتمنَّى لِما أصبحت فيه الأمانَ[٥]، وقد حيل بين العير والنَزَوان.

فالتفت ابنُ الزبير إلى الحاضرين وقال: ناشدتُكُم اللهَ، هل تعلمون أنَّ أبي حَوَاريُّ رسولِ الله ﷺ؟ وأنَّ [أباه] أبا سفيان هذا حاربَ[٦] رسولَ الله ﷺ، وكان عليه في جميع المواطن كلِّها؟ وأنَّ أمي أسماءُ بنتُ أبي بكر ذاتُ النطاقين، وأن أمَّه هندٌ آكلةُ الأكباد، وجدِّي الصِّدِّيق، وجدّه المشدوخ ببدر كافراً[٧]، وعمتي خديجة زوجُ النبي ﷺ، وعمَّته أمُّ جميل حمَّالةُ الحطب، وجدَّتي صفيةُ بنت عبد المطلب، وجدَّته حَمامة، وزوج عَمَّتي خيرُ ولدِ آدم، محمدٌ رسول الله، وزوج عمَّته شرُّ ولدِ آدم أبو لهب، وخالتي عائشةُ أمُّ المؤمنين، وخالتُه أشقَى الشقيات، وأنا عبد الله، وهو معاوية.

---

(١) في «العقد الفريد»: أو لكففنا عن جوابه إجلالاً له، بدل قوله: وكلفناه.

(٢) في «العقد الفريد» ٤/ ١٦: لقطَّعتك.

(٣) في «العقد الفريد»: لُجَجها.

(٤) في «العقد الفريد» بَهَزَتْكَ (أي: دفعتك).

(٥) في «العقد الفريد»: وتمنّى ما أصبحتَ فيه من أمان.

(٦) لفظ «أباه» بين حاصرتين زيادة لضرورة السياق، وعبارة «العقد الفريد» ٤/ ١٦: وأن أباه أبا سفيان حارب..إلخ.

(٧) يعني عُتبةَ بنَ ربيعة جدَّ معاوية لأمه هند.

فقال له معاوية: يا ابنَ الزُّبير، إنه واللهِ ليس لك في القديم[١] رِياسة، ولا في الحديث سياسة، ولقد سُدْناك قديماً وحديثاً، وإن هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشاً اجتمعت يومَ الفِجار على [رِياسَةِ] حربِ بنِ أمية[٢]، وأن أباك وأسرتَه كانوا تحت رايته، راضون بإمارته، غير منكرين لفضله، ولا طامعين في عزله، وإنْ أمَرَ أطاعوا، وإنْ قالَ أنْصَتُوا. ولم تزل فينا الرياسة حتى بعثَ [الله]محمداً ﷺ، وانتخَبَه من خلقه من أُسرتي، لا من أُسرتك، وبني أبي، لا من بني أبيك، فجَحَدَتْه قريش أشدَّ الجُحود، وجاهدَتْه أشدَّ الجهاد، إلا من عصمه الله من قريش. ومن ساد[٣] قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان؟ فكانت الجيوش تلتقي، ورئيس الهدى منا، ورئيس الضلالة منكم[٤]، ومهديُّكم تحت راية مهديِّنا، وضالُّكم تحت راية ضالِّنا، فنحن الأرباب، وأنتم الأذناب، حتى خلَّصه الله من عظيم شِرْكه، وعَصَمَه بالإسلام[٥] من عبادة الأصنام، وكان في الجاهلية عظيماً شأنُه، وفي الإسلام معروفاً مكانُه، ولقد أُعطيَ يومَ الفتح مالم يُعْطَه أحدٌ من آبائك؛ بقول رسول الله ﷺ: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن». فجعلَ داره حَرَماً آمناً، وقَرَنها بالمسجد الحرام، ولم تكن دارُ آبائك حرماً.

وأما هند فامرأةٌ من قريش، كانت عظيمة الخَطَر في الجاهلية، كثيرةَ الخير في الإسلام.

وأما جدُّك الصِّدِّيق؛ فبتصديق بني عبد منافٍ صار صِدِّيقاً، لا بتصديق بني عبد العُزَّى.

وأما جدِّي المشدوخ ببدر؛ فلعمري؛ فلقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنُه، فلو برزْتَ أنت وأبوك وبنو عبد العُزَّى؛ ما بارزوكم، ولا رأَوْكُم أهلاً ولا أكفاءً لهم كما طلب ذلك غيركم، فلم يُجيبوه، حتى برزَ إليهم أكفاؤُهم، فقضى الله مناياهم بأيديهم.

وأما عمَّتك وخالتك؛ فبنا صِرْنَ أمهاتِ المؤمنين. وأما صفية فهي التي أدْنَتْك من الظِّلّ، ولولاها لكنتَ ضاحياً.

---

(١) في (ب) و (خ): القدم. والمثبت من «العقد الفريد» ٤/ ١٦ .

(٢) ما بين حاصرتين من «العقد الفريد» لتوضيح الكلام.

(٣) في «العقد الفريد» ٤/ ١٧: فما ساد.

(٤) في «العقد الفريد»: منّا.

(٥) في (ب) و (خ): بإسلام، والمثبت من «العقد الفريد».

وأما قولك: أنا عبد الله، وأنت معاوية؛ فقد علمَتْ قريش أيُّنا أجودُ في الإزَم، وأجزلنا في العُدْم[١]، وأمنعُ للحُرَم، ولا واللهِ لا أراك[٢] منتهياً حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالبهم بالدخول، وقدَّم إليهم الخيول، وقد خدعتُم أميرَ المؤمنين، ولم تُراقبوا حُرْمةَ رسول الله ﷺ إذْ مددتُم على نسائكم السُّجُوف[٣]، وأبرزتُم زوجتَه للحُتوف، ومُقارعةِ السيوف، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هارباً، فلم يُنْجِه ذلك أن طحنَه أبو الحسين بِكَلْكَلِهِ[٤] طَحْنَ الحصيد بأيدي العبيد. وأمَّا أنتَ فأَفْلتَّ بعد أن خَمَشَتْك بَراثنُه، ونالَتْك مخالبُه. وَايْمُ الله، لَيُقَوِّمُنَّك بنو عبد مناف بِثِقَافها[٥]، ولَتُصْبِحَنَّ منها صَباح[٦] أبيك بوادي السِّباع، وما كان أبوك بموهن حدّه[٧]، ولكن كما قال الشاعر:

تـنـازلَ سِـرْحـانٌ فـريـسـةَ حـادرٍ[٨] فَقَضْقَضَهُ[٩] بالكَفِّ منه وَحَطَّما

وقال محمد بن السائب: اعتمر[١٠] معاوية في رجب ـ أو في بعض حَجَّاته ـ ولما قفل إلى الشام [و] بينا هو يسير في بعض الليالي إذا برجل يُسايرُه ويدنو منه، فقال: مَنْ أنت؟ فقال: عبد الله بنُ الزُّبير. قال: وما الذي أدناك مني؟ فقال ابن الزبير: لو شئتُ لقتلتُك منذ الليلة. فقال له معاوية: مه، لستَ من قَتَلَة الملوك، وإنَّما يَصِيدُ كلُّ طائر قَدْرَهُ من الطير. فقال ابن الزُّبير: إليَّ تقول هذا وقد سرتُ تحت لواء أبي لنصرة عثمان في قتال ابنِ أبي طالب وهو من تعرفُه. فقال: لا جرمَ قتلَ أباك بشماله ويمينُه فارغة. فقال ابنُ الزبير: كان ذلك في نُصرة عثمان. فقال: دَعْ عنك، فوالله لولا بِغْضَتُكَ لعليّ

(١) كذا في (ب) و (خ). وبدلها في «العقد الفريد» ٤/ ١٨: وأمضى في القُدُم. وذُكر في حاشيته: أحزم. (نسخة).

(٢) في (ب): أزل، وفي (خ): أزال. والمثبت من «العقد الفريد».

(٣) في (ب) و (خ): السحوق، والمثبت من «العقد الفريد».

(٤) الكلكل والكلكال: الصدر.

(٥) الثِّقاف: أداة من خشب أو حديد تقوَّم بها الرماح لتستوي وتعتدل.

(٦) في «العقد الفريد» ٤/ ١٨: أو لتصيحنَّ منها صِياح ...

(٧) كذا في (خ). وفي (ب): بموهن حدك. وفي «العقد الفريد»: وما كان أبوك المرهوب جانبه.

(٨) الحادر: الممتلئ البدن. ورواية البيت في «العقد الفريد» ٤/ ١٨: أكيلة سِرْحان فريسة ضيغمٍ. والسِّرْحان: الثعلب.

(٩) أي: كسره. وتحرفت اللفظة في (ب) و (خ) إلى: فقصفه.

(١٠) في (ب) و(خ): لما اعتمر ... وأثبتُّ السياق على الجادَّة. والواو الآتية بين حاصرتين زيادة من عندي للسياق.

لكنتَ جرَرْتَ[١] بِرِجْلِ عثمانَ فيمن جَرَّ. فقال: إنَّ لك في رقابنا بيعةً، وسيعلم مَنْ يأتي بعدَك. فقال معاوية: إني لا أتخوَّف[٢] عليك ألا تقتل[٣]، وكأنّي بك وقد وقعتَ في الأُنْشُوطة، فتمنَّيْتَ أنَّ أبا عبد الرحمن[٤] كان لك، ولو حضرك لأطلقَك. فقال ابنُ الزبير: إليَّ تقول هذا، وأنا ابن حواريِّ وصِدِّيق، وأنت طليق بن طليق. فقال له معاوية: لقد هممتُ أنْ أَعِظَك بالرِّفْق، وأَعْسِفَكَ عن الطريق[٥]. ثم أعرضَ عنه[٦].

ذكر المنقول من حلمه واحتماله:

كان يقول: ما شيءٌ أحبَّ إليَّ من جُرْعة غيظ أتجرَّعُها طلباً لثواب الله تعالى[٧].

[وحكى أيضاً[٨] عن الحسن البصري أنه قال: لو سلك معاوية بالناس غير سبيل الاحتمال والمداراة؛ لاختُطف اختطافاً[٩].

وقال الهيثم: قال معاوية ذات يوم والحسن عنده: من أكرم الناس أباً وأمًّا، وجدًّا [وجَدَّةً]، وعمًّا وعمَّة، وخالاً وخالة؟ فقال له عبد الله بن العجلان: هذا القاعد. وأشار إلى الحسن. فقال معاوية: صدقت[١٠]].

وقال[١١]: وقال عبد الله بن همَّام السَّلُوليّ:

---

(١) رسمت اللفظة في (ب) و (خ): جرور. والمثبت من «تاريخ دمشق» ص٤٤٢ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عبد الله بن الزبير).

(٢) في (خ): لأتخوَّف.

(٣) في «تاريخ دمشق»: ما أخافك إلا على نفسك.

(٤) هي كنية معاوية.

(٥) أي: أَعْدِل وأَحِيد بك عن الطريق.

(٦) ينظر أيضاً «البداية والنهاية» ١٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢. وصدر القصة في «أنساب الأشراف» ٤/ ٨١.

(٧) تاريخ دمشق ٦٨/ ٢٨١ (طبعة مجمع دمشق) ونسب الكلام في (م) للمدائني. وهذا الكلام مقتبس من حديث ابن عمر مرفوعاً: «ما تجرَّع عبدٌ جرعة أفضل عند الله عزّ وجلّ من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى». أخرجه أحمد (٦١١٤)، وأخرجه أيضاً من حديث ابن عباس (٣٠١٥).

(٨) يعني المدائني، حيث نُسب الخبر في (م) إليه، وهذا الكلام بين حاصرتين منها.

(٩) أنساب الأشراف ٤/ ١٤٧.

(١٠) المصدر السابق ٤/ ٣٨، ولفظ «وجدَّة» بين حاصرتين منه، وسيرد ص٨١.

(١١) يعني المدائني. والشعر الآتي في «أنساب الأشراف» ٤/ ٧٤. ومن هذا الموضع إلى ترجمة صحار العبدي ص٨٤ ليس في (م).

فإنْ تَأْتُوا بِبَرَّةَ أوْ بهندٍ نُبايِعْها أميرةَ مؤمنينا
أيا لَهَفي لَوَ انَّ لنا رجالاً يكونوا مثلَنا متناسِقِينا
إذاً لَضَرَبْتُكُمْ حتى تعودوا بمكة تلعقون بها السَّخِينا[1]
شَرِبْنا الغَبْنَ[2] حتى لو سُقِينا دماءَ بني أميَّةَ ما رَوِينا
لقد ضاعَتْ رعيَّتُكُمْ[3] وأنتُمْ تصيدون الأرانبَ غافلينا

وبلغ معاويةَ فقال: ما تركَ ابنُ همَّام شيئاً، ذكرَ أمهاتِنا، وشربَ دماءَنا، وتأسَّفَ على رجال يقاتلوننا، اللهم اكْفِناه[4].

وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال: كذبتَ. فقال: كذب المتزمِّلُ في ثيابك يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: هذا جزاء مَنْ عَجِل[5].

وضرب يزيد غلاماً له، فقال له معاوية: كيف ضربتَ من لا يستطيعُ امتناعاً منك[6]؟!

واجتمع عمرو بنُ العاص وعبد الله بنُ عباس عند معاوية، فقال له عمرو: يا بني هاشم، أما واللهِ لقد تقلَّدتُم من دم [عثمان] كَفَرْمِ الإماء العوارك[7]، فأطعتُم فُسَّاق أهلِ العراق في عَيْبه، وأجزرتموه مُرَّاق أهلِ مصر، وآويتُم قَتَلَتَه.

فالتفت ابنُ عبَّاس إلى معاوية، فقال له: واللهِ ما تكلَّم ابنُ النابغة[8] إلا عن رأيك، وإنَّ أحقَّ الناس مَنْ طُلب منه دمُ عثمان لَأنتما[9].

أما[10] أنت يا معاوية؛ فزيَّنْتَ له ما صنع، حتى إذا حُصِرَ، طلبَ نُصرتك، فتربَّصتَ عليه وتثاقلتَ عنه حتى قُتل؛ وأحببتَ قَتْلَه لتنالَ ما نلتَ.

---

(١) في «خ»: السخونا. والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المصدر السابق.
(٢) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٧٤: حُشينا الغيظ.
(٣) في (ب): رويَّتكم، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «أنساب الأشراف».
(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٧٤ ـ ٧٥.
(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٨٨.
(٦) المصدر السابق ٤/ ٩٢.
(٧) الفَرْمُ: دواء تتضيَّقُ به المرأة، وعوارك جمع عارك، أي: حائض. ينظر «القاموس».
(٨) يعني عمرو بن العاص ﷺ، أمه النابغة بنت خزيمة، وكان يعيَّر بها.
(٩) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٩: وإن أحقّ الناس أن لا يتكلم في قتل عثمان لأنتما.
(١٠) في (ب) و (خ): لها، بدل: أما (؟) والمثبت من المصدر السابق.

وأما أنت يا ابن النابغة؛ فأضرمتَ المدينة عليه ناراً، ثم هربتَ إلى الشام، ونزلتَ فلسطين تُحَرِّضُ عليه الصادر والوارد، حتى دعا...[١] في شِعاف الجبال حيث عزلك عن مصر، ولم تكن عنده [إلا] كذُبابٍ مرَّ على أنفه، فلما بلغك قَتْلُه دعَتْك عداوةُ أمير المؤمنين إلى أن لَحِقْتَ بهذا ـ وأشار إلى معاوية ـ فبِعْتَ منه دينَك وأمانَتَك ـ إن كان لك دين ـ بمصر.

فقال معاوية: يا ابنَ عباس، حسبُك، فقد عرَّضَني عمرو لك ونفسَه[٢] إلى سماع هذا، فلا جزاه الله خيراً.

دخل شريك[٣] بن الأعور الحارثي على معاوية، وكان آدَمَ[٤] دميماً، إلا أنه كان شريفاً في قومه، وكان شيعياً، شهد صفِّين مع علي عليه السلام، فأراد معاويةُ أنْ يضعَ منه، فقال: إنك لشريك، وما لله من شريك، وإنك ابنُ الأعور، والصحيحُ خيرٌ من المعيوب، وإنك لدميمٌ حِنْزَقْرَةٌ[٥] أسود، فكيف سوَّدَك قومك؟ فقال له شريك: إنك لمعاوية، وهل معاويةُ إلا كلبةٌ عَوَتْ فاستَعْوَت الكلاب، وإنك ابنُ صخر، والسهل خير، وإنك ابنُ حَرْب، والسِّلْمُ خيرٌ[٦]، فكيف صِرْتَ أميرَ المؤمنين؟ ثم خرج مُغْضَباً وهو يقول:

أَيَشْتِمُني معاويةُ بنُ حربٍ ... وسيفي صارمٌ[٧] ومعي لساني
وحولي من ذوي يَمَنٍ لُيوثٌ ... ضراغمةٌ تَهُشُّ إلى الطِّعانِ
فلا تبسُطْ لسانَك يا ابنَ هندٍ ... علينا أَنْ بلغْتَ مدى الأماني
فإنْ تَكُ للشقاء لنا أميراً ... فإنَّا لا نُقيمُ على الهوانِ
وإنْ تَكُ من أميَّة في ذُراها ... فإني من بني عبد المدانِ

(١) مكان النقاط كلمة غير واضحة رسمها: السا. ومن هذا الموضع... إلى قوله الآتي: مرّ على أنفه، لم يرد في «أنساب الأشراف»، ولفظة: «إلا» الآتية بين حاصرتين، زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (ب) و(خ): لنفسه، بدل: لك ونفسَه. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٩ .

(٣) تحرف في (ب) و (خ) إلى: يزيد. والكلام ليس في (م).

(٤) أي: أسمر.

(٥) الحِنْزَقْرَة: القصير الدميم، كالحِنْزَقْر. ينظر «القاموس».

(٦) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٢: والسهل خير من الصخر... والسلم خير من الحرب.

(٧) في (ب) و (خ): صارمي. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٢ .

قدم معاوية المدينةَ، فدخلَ دارَ عثمان رضوان الله عليه، فقالت عائشة بنتُ عثمان، وا أبتاه! فقال: يا ابنةَ أخي، إن الناس أعطَوْنا طاعةً تحتَها أحقاد، وأظْهَرْنا لهم حِلْماً تحته غضب، ومع كل إنسان سيف، فإن نَكَثْنَا بهم نكثوا بنا، ولا ندري أتكون لنا أو علينا، ولأَنْ تكوني ابنة عمّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة رجل من أعراض المسلمين[١].

وقف أبو الدرداء يوماً بباب معاوية، فحجبَه، فقال: مَنْ يَغْشَ أبواب الملوك يقم ويقعد، ومن وجدَ باباً مغلقاً وجد إلى جانبه باباً مفتوحاً، إنْ دعا أجيب، وإنْ سألَ أُعطِي.

وبلغ معاويةَ، فأَذِنَ له واعتذر إليه[٢].

قالت فاختة امرأة معاوية لمعاوية: لِمَ تُصانع الناس؟ فلو أخذتهم من عَلُ، كانوا الأذلِّين، وكنتَ قاهراً لهم. فقال لها: إن في العرب بعدُ بقيّة، ولولا ذلك لجعلتُ عاليَها سافلَها. فقالت له: واللهِ ما بقيَ أحدٌ إلا وأنت قادرٌ عليه. فقال لها: هل لكِ أن أُريَكِ بعضَ ذلك منهم؟ قالت: نعم. فأدخلَها بيتاً، وأسبل[٣] عليها سِتْراً، ثم أمرَ حاجبه أنْ يُدْخِل عليه رجلاً من قيس. فأدخلَ رجلاً يقال له: الحارث، فقال له معاوية: إيهِ يا حُوَيْرث، أنت الذي تطعنُ في الخلافة، وتنتقصُ أهلَها، واللهِ لقد هممتُ أنْ أجعلَك نَكالاً. فقال: يا معاوية، ألهذا دعوتَني؟ واللهِ إنَّ ساعدي لشديد، وإنَّ رُمْحي لمديد، وإنَّ سيفي لحديد، وإن جوابي لَعتِيد، وإن لم تأخذ ما أُعطِيتَ بشكر؛ لَتُنْزَعَنَّ عمَّا نكره بصُغْر. فقال: اخْرجْ. فقالت فاختة: ما أقوى قلبَ هذا وأجرأَه! [فقال معاوية:] وما ذاك إلا بإدلاله بطاعة قومه له.

ثم قال للحاجب: أدخِلْ آخر. فدخل رجلٌ يقال له: جارية. فقال له: إيه يا جُويرية[٤]، أنت الذي بلغني عنك تخبيبُ الجند[٥]، وقلَّةُ الشكر. فقال: يا معاوية،

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ١٤٣، وفيه: (من عُرْض المسلمين). أي: من عامتهم.

(٢) العقد الفريد ١/ ٧١. دون قوله: وبلغ معاوية... إلخ.

(٣) في (خ): وأرسل.

(٤) في (خ): حارثة.... حويرثة. وغير واضحة في (ب). والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٢٣. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) في (ب) و (خ): أنك تخبب الجند. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٢٣ لسياق الكلام بعده. والتخبيب: الإفساد.

وعلام تُشكر؟ فواللهِ ما تُعطي إلا مداراةً، ولا تحلُمُ[١] إلا مصانعةً، فاجْهَدْ جَهْدَك، فإن ورائي من ربيعة ركناً شديداً، لم تَصْدَأ[٢] أدرعُهم مُذْ جَلَوْها، ولا كلَّتْ سيوفُهم مُذْ شحذُوها. فقال: اخْرُجْ. فخرج.

ودخل رجل آخر من اليمن يقال له: عبد الله، فقال: إيهِ يا عُبيد الله[٣]، ألحقتُك بالأقوام، وأطلقتُ لسانَك بالكلام، ثم يبلغُني عنك ما يبلغُني من سوء الإرجاف، لقد هممتُ أن أجعلَك عبرة لأهل الشام. فقال: يا معاوية، ألهذا دعوتَني؟! صغَّرتَ اسمي ولم تنسبني إلى أبي، وإنَّما سُمِّيتَ معاويةَ باسم كلبة عَوَتْ، فارْبَعْ على ظَلْعِك[٤]، فذلك خيرٌ لك. فقال: اخرج. فخرج. وخرجَتْ فاختة، فقالت: أيها الرجل، صانِعِ الناس وسُسْهُم برفقك وحلمك، فأبعدَ الله مَنْ لامَك.

وخطبَ معاويةُ يوماً بالمدينة، فقام إليه غلام من الأنصار، فقطعَ عليه الكلامَ، وقال: ما الذي جعلك وأهلَ بيتك أحقَّ بهذه الأموال منَّا، وإنَّما أفاءها الله على المسلمين بسيوفنا، وما لنا عندك ذنب غير أنَّا قتلنا جدَّك عُتبة، وأخاه شيبة، وخالَك الوليد بنَ عتبة، وأخاك حنظلة يومَ بدر. فقال معاوية: واللهِ يا ابن أخي، ما أنتم قتلتموهم، ولكنَّ الله قَتَلَهم بملائكة على أيدي بني أبيهم، وما ذاك بعارٍ ولا مَنْقَصَة. فقال الأنصاري: فأين العار والمَنْقَصَةُ إذاً؟ قال: صدقتَ[٥]. وكان بين يديه مال، فقال: احملْ منه ما شئتَ. فحملَ وِقْرَه، وعاد معاوية إلى خطبته.

وخطب معاوية، فنالَ من عليّ[٦]، فقام أبو الدَّرداء إليه وقال: كذبتَ يا معاوية، ليس هو كما تقول. فنزل معاوية من المنبر، فقال له يزيد: أتحتملُ هذا كلَّه؟! فقال: مَهْ، إنَّه من عُصْبةٍ عاهدوا اللهَ لا يسمعوا كذبةً إلا ردُّوها.

---

(١) في (خ): تحكم.

(٢) في (ب) و (خ): لم تصل. والمثبت من «أنساب الأشراف».

(٣) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٢٤: عُبيد السوء.

(٤) أي: لا تُجاوز حدَّك في وعيدك. ينظر «مجمع الأمثال» ١/ ٢٩٣.

(٥) بعدها في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٣: أفلك حاجة؟ قال: نعم، لي عجوز كبيرة، وأخوات عواتق، وقد عضَّنا الدهر، وحلّ بنا الحَدَثان ....

(٦) في (ب) و (خ): فقال من علي علم (؟) والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٣.

وقال معاوية لأبي الجَهْم بن حُذيفة: أيُّنا أسنُّ؛ أنا أم أنتَ؟ فقال أبو الجَهْم: واللهِ لقد أكلتُ في عُرْس أمِّك، وأذكرُ دخولَها على زوجها. فقال معاوية: على أيِّ أزواجها؟ قال: على حفص[١] بن المغيرة. فقال معاوية: واللهِ لقد كانت كريمةَ المناكح، وإيَّاك يا أبا الجَهْم والقُدومَ[٢] بعدها على السلطان بمثل هذا، فأمْرُ السلطان كاللعب، وصَوْلَتُه كالأسد.

وفي رواية: فإنَّه يغضب غضب الصِّبيان، ويصولُ صَوْلَةَ الأسد[٣]. فقال أبو الجَهْم:

نميلُ على جوانبِه كأنَّا ... إذا مِلْنا نميلُ[٤] على أبينا
نُقَلِّبُهُ[٥] لِنَخْبُرَ حالَتَيْهِ ... فنَلْقَى[٦] منهما كَرَماً ولِينا

وهجا عُقبة[٧] الأسديّ معاويةَ من أبيات:

مُعاويَ إننا بَشَرٌ فأَسْجِحْ[٨] ... فلسنا بالجبال ولا الحديدِ
أكلْتُم أرضَنا فَجَرَدْتُموها ... فهل من قائمٍ أو من حَصِيدِ
فهَبْنا أمةً هَلَكَتْ ضَياعاً ... يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ
أتطمع في الخلود إذا هَلَكْنا ... فليس لنا ولا لك من خلودِ

فلما وقف معاوية على الأبيات، استشار أصحابَه فيه، فقال قوم: اقتُلْه. وقال آخرون: مَثِّلْ به. وقال قوم: افعل به كذا وكذا. فقال معاوية: ألا نفعلُ ما هو خير لك فقال: وما هو؟ قال: ارفعوا أيديَكم لندعوَ عليه[٩].

---

(١) تحرف في (ب) و (خ) إلى: حصين. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٦٥ و«العقد الفريد» ١/ ٥٢.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٦٥: والإقدام.

(٣) المصدر السابق، والعقد الفريد ١/ ٥٢.

(٤) في «العقد الفريد» ١/ ٥٢ و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٢٨٤: نميل إذا نميل.

(٥) في «العقد»: ونغضبُه.

(٦) في «العقد» و«تاريخ دمشق»: فنَخْبُرَ.

(٧) كذا في (ب) و (خ): عقبة (في الموضعين). وفي «العقد الفريد» ١/ ٥٢: عُقيبة. وبهذا الاسم ترجم له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٥. فقال: عقيبة بن هبيرة بن فروة الأسدي.

(٨) أي: سَهِّلْ وارْفُقْ، يقال: ملكتَ فأَسْجِحْ.

(٩) كذا وقع سياق الكلام في (ب) و (خ) بصيغة الجمع ثم بالمفرد. وقول معاوية: ألا نفعل ما هو خير لك... وقع في رواية للخبر في «العقد الفريد» ٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠ يخاطب به أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وهي الرواية التي ستأتي بعد هذه الرواية مختصرة.

ثم دعاه معاوية فقال: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: نصحتُك إذْ غَشُّوك، وصَدَقتُك إذْ كَذَبُوك. فقال: ما أظنُّك إلا صادقاً. وقضى حوائجَه[١].

دخل أبو بُردة بن أبي موسى حمَّاماً، فزحَمَ رجلاً، فرفع الرجل يَدَه، فلطَم أبا بُرْدَة في وجهه، فقال عقبة الأسدي:

لا يَصْرِمُ اللهُ اليمينَ التي لها ... بوجهك يا ابنَ الأشعريّ نُدوبُ

فاستعدى عليه معاوية، فقال: إنه هجاني. قال: وما قال؟ قال: فأنشده البيت.

فقال: هذا رجل دعا ولم يقل إلا خيراً. فقال أبو بُردة: فقد قال:

وأنت امرؤٌ في الأشعرين مقابَلٌ[٢] ... لديهم وفي البطحاء[٣] أنت غريبُ

فقال معاوية: وإذا كنتَ في الأشعريين مقبلاً؛ فما ذاك؟ فقال: فقد قال:

ولا أنا من حُدَّاثِ أمِّك بالضُّحى ... ولا مَنْ يزكِّيها بظهر مَغِيبِ[٤]

فقال معاوية: وماذا عليه إذا لم يزكِّها؟ ولو كان قال: أنا من حُدَّاثها؛ لكان لك أن تغضب.

ثم قال معاوية: والذي قال لي أشدُّ. يعني قوله:

معاويَ إننا بشرٌ فأَسْجِحْ ... فلسنا بالجبال ولا الحديدِ[٥]

الأبيات المتقدَّمة.

---

(١) الخبر في «العقد الفريد» ١/ ٥٢ دون قوله: (فلما وقف معاوية على الأبيات... لندعو عليه). وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٦٧، والتعليق السابق. فلعل ثمة وهماً وقع.

(٢) في (ب) و (خ): في الأشعريين مقبلاً. والمثبت من «العقد الفريد» ٥/ ٣١٩. والمقابَل من الرجال: الكريم النسب من قبل أبويه.

(٣) في «العقد الفريد»: وفي البيت والبطحاء، وبدل: لديهم وفي البطحاء.

(٤) في (خ) (والكلام منها): فقال عجيب بدل: بظهر مغيب(؟). وسقط البيت من (ب)، والكلام ليس في (م). والمثبت من «العقد الفريد». والحُدَّاث: أي الجماعة يتحدَّثون؛ قال ابن الأثير في «النهاية»: هو جمع على غير قياس، حملاً على نظيره، نحو سامر وسُمَّار.

(٥) ينظر ردّ ابن عبد ربّه رواية سيبويه: ولا الحديدا (بالنصب) في «العقد الفريد» ٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

افتخر يوماً معاوية فقال: إن الله فضَّل قريشاً بثلاث، فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ونحن عشيرتُه، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ونحن قومُه، وقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ونحن قريش.

فقام فتى من الأنصار، فقال: على رِسْلك يا معاوية، فإنَّ الله يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦]، وأنتم قومُه. وقال: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، وأنتم قومُه، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] وأنتم قومُه. فهذه ثلاث بثلاث. فأفحمه[١].

ذكر بعض الوافدين عليه:

وَفَدَ عليه الأحنف بن قيس، ومحمد بنُ الأشعث الكِنْدي، فأذِنَ للأحنف أولاً، ثم أذن لمحمد، فهرولَ محمد فدخل أولاً، فشقَّ ذلك على معاوية وغضب وقال: يا ابنَ الأشعث، كيف[٢] تقدَّمتَ أبا بَحْر[٣] ولم آذَنْ لك قبلَه؟ وإنَّا كما نلي أمورَكم؛ فكذا نلي أدبكم. ووالله ما يزيدُ متزيِّد في حظِّه[٤] إلا لنقصٍ يجدُه في نفسه، فإيَّاك إياك. ووصلَ الأحنفَ، وحرمَ ابنَ الأشعث[٥].

الحسن بن علي عليه السلام

وفد عليه مراراً.

قال معاوية يوماً والحسن رضي الله عنه [عنده]: مَنْ أكرمُ الناسِ أباً وأمَّا، وجَدًّا وجدَّةً، وعمًّا وعمَّة، وخالاً وخالةً؟ فقال له عبد الله بن العجلاني[٦]: هذا القاعد. وأشار إلى الحسن. فقال معاوية: صدقتَ.

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٢٧.

(٢) في (ب) و (خ): فقال كيف (؟).

(٣) هي كنية الأحنف بن قيس.

(٤) في (ب): خطه. وفي «العقد الفريد» ١/ ٦٨: خطوه.

(٥) الخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٥٧ من رواية المدائني، وفيه بدل قوله: ووصل الأحنفَ...: فقال محمد: إنَّا لم نأتك لتقضيَ مكاننا منك، ولم نعدم الأدب فنحتاج إلى تأديبك، فخُذْ منّا عفوَنا تستوجب مودّتنا، وإنّا عنك لفي غنًى وسَعَة. ثم خرج. والخبر بنحوه أيضاً في «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٦) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨: عجلان، وسلف الخبر ص٧٤ (أول هذه الفقرة).

حُضَيْن[١]

وفي حُضَين يقول علي عليه السلام يوم صِفِّين:

لِمن رايةٌ سوداءُ يخفقُ ظلُّها إذا قيل قَدِّمْها حُضَيْنُ تَقَدَّما
فيوردُها في الصفِّ حتى يُقيلَها[٢] حِياضَ المنايا تقطرُ الموتَ والدِّما

قال ابن ماكولا: كان الحُضين أثيراً[٣] عند بني أمية، فقتله أبو مسلم الخُراساني[٤].

وقال العسكري: كان من سادات ربيعة، ولّاه علي رضي الله عنه إصْطَخْر، وحملَ راية ربيعة يومَ صفِّين، وكان يُبَخَّل. وفيه قال زياد الأعجم:

يَسُدُّ حُضَيْنٌ بابه خشية القِرى بإصْطَخْرَ والكبشُ السمينُ بدرهمِ

أسند حُضَيْن عن عثمان، وعليّ، والمهاجر، والمجاشع بن مسعود.

وكان إذا دخل على حُضَيْن خَتَنُهُ على أخته، أو صهرُه على ابنتِه، تنحَّى له عن مجلسه. وقال: مرحباً بمن ستر العورة، وكَفَى المُؤْنة.

كان الحُضَيْن بخراسان مع قتيبة بن مسلم.

حُضَيْن بن المنذر[٥]، وفدَ على معاوية، وكنيتُه أبو ساسان[٦]، فكان يقف ببابه ولا يؤذن له إلا في آخر الناس، ما كان يُعطي الحاجب والبوَّاب شيئاً.

فقال له معاوية يوماً: يا أبا ساسان، مالك لا تدخلُ إلا في آخر الناس؟ فقال:

وكلُّ خفيفِ الشأنِ يسعى مشمِّراً إذا فتحَ البوَّابُ بابَك إصبعا
ونحن الجلوسُ الماكثون رزانةً حياءً إلى أن يُفتحَ البابُ أجمعا

---

(١) هو حُضين بن المنذر، أبو ساسان البصري، كنيتُه أبو محمد، وأبو ساسان لقب.
(٢) في (ب) و (خ): ينيلها، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥/ ١٦٣ (مصورة دار البشير).
(٣) أي: مفضَّلاً على غيره. وتحرفت اللفظة في (ب) و (خ) إلى: أميراً.
(٤) الإكمال ٢/ ٤٨٢، وتاريخ دمشق ٥/ ١٦٥ (مصورة دار البشير).
(٥) كذا وقع سياق الكلام في (ب) و (خ). والكلام تتمة لترجمة حُضَين.
(٦) إنما أبو ساسان لقبه، وكنيتُه أبو محمد. ينظر «تاريخ دمشق» ٥/ ١٦١.

فأشار إليه معاوية: أنْ أَعْطِهِم شيئاً[١].

ومن الوافدين على معاوية:

ثَوْبُ[٢] بن تُلْدَة الوالبي الأسدي

أحد المُعمَّرين المخضرمين، عاشَ مئتين وأربعين سنة، وفدَ على معاوية.

وقال في سنِّه وعُمرِهِ:

وإنَّ امرءاً قَدْ عاشَ عشرين حَجَّةً ... إلى مئتين كلُّها هو دائبُ
لَرَهْنٌ لأحداثِ المنايا وإنَّما ... يُلَهِّيهِ في الدنيا مُناهُ الكواذبُ

دخل على معاوية فقال له: كيف بصرُك؟ قال: أحدُّ ما كان. قال: فكيف مشيُك؟ قال: كنتُ أمشي، فأنا اليومَ أُهَرْوِل. قال: أدركتَ أميةَ بنَ عبد شمس؟ قال: نعم، رأيتُه وهو أعمى وله عبدٌ يقودُه، ولقد رأيتُه يطوف بالبيت، فلا أدري أنِّي[٣] أكبر أم هو. قال: فكيف أكلُك؟ قال: كنتُ آكلُ مرَّةً، فأنا آكلُ اليوم مرتين، وكنتُ أرى هلالاً واحداً، وأنا اليوم أراه هلالين.

وهو القائل[٤]:

لقد عَلِمَتْ بالقادسيَّة أنَّني ... صبورٌ على اللَّأْواء عَفُّ[٥] المكاسبِ
أخوضُ بسيفي غمرةَ الموت مُعْلِماً ... وأُقدمُ إقدامَ امرئٍ غيرِ هائبِ[٦]

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ١٦٣، وتتمة قول معاوية فيه: فإنك لا تعطي أحداً شيئاً. وينظر «تهذيب الكمال» ٦/ ٥٥٥ ـ ٥٦٠.

(٢) بفتح الثاء وسكون الواو، أو بضم الثاء وفتح الواو. ينظر «توضيح المشتبه» ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤. وذكره ابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٣٢ في القسم الثالث من حرف الثاء فقال: ثور بن تلدة، ويقال: ثوب، بالموحَّدة.... وقال: أنشد له المرزباني شعراً فيما أنشده الآمدي لغيره. وانظر الكلام بعد تعليق.

(٣) في «مختصر تاريخ دمشق» ٥/ ٣٥٠: أنا.

(٤) نسب الآمدي الشعر في «المؤتلف والمختلف» ص٧٩ لنُسير بن ثور العجلي. وذكر ابن حجر نُسير هذا في القسم الثالث من حرف النون في «الإصابة» ١٠/ ٢٠٨ وقال: (له إدراك، وشهد الفتوح في عهد عمر، منها القادسية). ثم ذكر له البيت الأول.

(٥) في (خ): كف، وفي (ب): لكف. والمثبت من «المؤتلف والمختلف» ص٧٩، و«الإصابة» ١٠/ ٢٠٨.

(٦) في «المؤتلف والمختلف»: هارب.

وفَـوْقـي دِلاصٌ ذاتُ شَـكٍّ حـصـيـنـةٌ كـأنَّ قَـتِـيـرَيْـهـا عـيـونُ الـجَـنـادبِ[١]
وإمَّـا تَـرَيْـنِـي قَـلَّ مـالـي فـقُـلُّـهُ لـدفـع خـطـوبٍ جـمَّـةٍ ومـعـائـبِ[٢]
إذا قـلَّ مـالـي لـم أَلُـذْ[٣] بـذوي الـغـنـى ولـكـن أخـشِّـنُ الـحـوادثَ[٤] جـانـبـي
وإنْ بـلـدةٌ نـأَتْ[٥] عـلـيَّ طِـلابُـهـا صـرفـتُ لأخـرى رحـلـتـي وركـائـبـي
وإنْ مـرَّ مـن دهـرٍ عـلـيَّ حـوادثٌ تشيب النواصي بعد شيبِ الحواجِبِ
فـلـسـتُ إذا مـا الـدَّهْـرُ أحـدثَ نـكـبـةً بـأخـضـعَ ولَّاجٍ بـيـوتَ الأقـارب

صُحَار بن عبَّاس[٦] العَبْدي

[ذكر المدائني أنه] وفدَ على معاوية، وكان أزرق، فقال له معاوية: يا أزرق. فقال: خير البُزَاة الزُّرْق. فقال [له]: يا أحمر. فقال: [خير] الذهب الأحمرُ[٧]. فقال له: ما هذه البلاغةُ فيكم يا عبد قيس؟ فقال: شيء يعتلجُ في صدورنا، فنَلْفِظُه كما يلفِظُ البحرُ الزَّبَد. قال: فما رأسُ البلاغة؟ قال: أن تقولَ ولا تُخطئ، وتعجلَ ولا تُبطئ.

ثم وصف قبيلتَه وقال: ومنَّا عبد الله بن سوار[٨]، خرج في أربعة آلاف إلى ثغر السِّنْد، فلم يُوقِدْ أحدٌ في عسكره ناراً بطعام، حتى أتى البلاد. ورأى يوماً في عسكره ناراً، فقال: ما هذه النار؟ فقيل له: امرأةٌ ولدَتْ؛ اتخذوا لها خبيصاً. فأمَرَ أن يُطْعَمَ العسكر كلُّهم الخَبِيص ثلاثةَ أيام.

وأما صعصعة بن صُوحان فأبلغُ أهل زمانه.

---

(١) دِلاص: صفة للدِّرْع، يقال: دِرْع دِلاص، أي: ملساء ليّنة، والقَتير: رؤوس مسامير الدروع. والجنادب جمع جُندب. وهو نوع من الجراد. ينظر «القاموس».

(٢) في «المؤتلف والمختلف» ص٧٩: لدفع خصوم جَمَّة ونوائبِ.

(٣) في «المؤتلف والمختلف»: أُلَعْ.

(٤) في المصدر السابق: أُنَحِّي للحوادث.

(٥) في المصدر السابق: أعيت.

(٦) كذا في (ب) و (خ) و (م): عباس. وقال العسكري في «تصحيفات المحدثين»: صحار بن عياش. وقال خليفة في «الطبقات» ص٦١: صحار بن عياش، ويقال: بن عباس.

(٧) من هذا الموضع، وحتى ترجمة يزيد بن الأسود، ليس في (م). وما سلف بين حاصرتين منها.

(٨) في (ب) و (خ): سور (والكلام ليس في م). والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٤٠ ـ ١٤١، والخبر فيه.

ظالم بن عَمْرو، أبو الأسود الدّيلي

وفدَ على معاوية، فحَبِقَ[١]، فخجلَ، فقال: اسْتُرْها عليَّ يا أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لا بأس عليك. إنَّ هذا الذي فعلتَه أفعلُه أنا وأبي[٢].

عبد الله بنُ جعفر

وفدَ عليه، وله معه واقعاتٌ، تُذكر في ترجمته.

عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعريّ

وفد عليه بعد التحكيم وعليه برنس أسود، فلما خرج من عنده قال: وفدَ علينا الشيخ لنُولِّيَه، ووااللهِ ما ولَّيْناهُ أبداً[٣].

عديّ بن حاتم الطائي

دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال له[٤]: يا أبا طريف، متى ذهبَتْ عينُك؟ فقال: يومَ فرَّ أبوك، وقُتل خالُك[٥]، وضُربتَ على قفاك، وأنا مع الحقِّ، وأنت مع الباطل. فقال معاوية: إنَّ طَيِّئاً كانوا لا يحجُّون البيت، ولا يُعظِّمون حُرْمَتَه.فقال عديّ بن حاتم: كانوا يفعلون ذلك حيث يعلمون أنَّ البيت لا ينفع قربُه، ولا يضرُّ بُعْدُه، فلما علموا ذلك؛ كانوا أغلبَ الناس عليه، كانت طَيِّئ وخَثْعَم لا يحجُّون البيت، وكانوا يُسَمَّوْن الأَفْجَران[٦].

---

(١) أي: خرج منه ريح الحَدَث.

(٢) الخبر في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣، وفيه أن أبا الأسود الديلي (ويقال الدؤلي) قال لمعاوية: يا معاوية، إن الذي كان مني قد كان مثله منك ومن أبيك... وانظر تتمة كلامه.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٥٢ .

(٤) يعني عبد الله بن الزبير.

(٥) يعني طلحة بن عُبيد الله، لأنه من بني تَيْم. وقد قتل يوم الجمل. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٥ .

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦ . وينظر «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٩٦ ـ ٩٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عدي ابن حاتم).

ولما وفد على معاوية قال له: [ما] أنصفَك ابنُ أبي طالب، حيث قُتل أولادُك؛ طريف وطَرَفة وطراف[١]، وبقيَ أولادُه! فقال له عديّ: ما أنصفتُه أنا حيث استُشهد، وبقيتُ بعدَه. فقال معاوية: قد بقيَتْ من دم عثمان قطرة لا يمحوها إلا دمُ شريفٍ من أشراف اليمن. يعني عديًّا. فقال له عديّ: واللهِ إنَّ القلوبَ التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنَّ سيوفَنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدْنَيْتَ[٢] إلينا من الغدر شبراً لَنُدْنِيَنَّ إليك من الشَّرِّ باعاً[٣]، وإنَّ جزَّ الحلقوم وحَشْرَجةَ الحَيْزُوم[٤] لأهونُ علينا [من] أن نسمعَ المساءةَ في أمير المؤمنين. فقال معاوية لكاتبه: اكتُبْها، فإنَّها كلمةٌ حكيمةٌ[٥].

عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة

كتب معاوية إليهما، فأقدَمَهما. [فقدم] عمرٌو من مصر، والمغيرةُ من الكوفة، فاجتمعا قبل الدخول عليه، فقال عمرو للمغيرة[٦]: ما دعانا إلا ليعزلنا، فإذا دخلتَ عليه، فاشتك الضعف، واستأذِنْه في إتيان المدينة، وأستأْذنُه أنا في إتيان مكة، فإنه سيقع[٧] في قلبه [أنَّا] إنما نُريد الفساد عليه، وتغيير قلوب الناس، فلما دخلا عليه ذكرا له ذلك، فقال: لقد تَواطَأْتُما على أمر، وإنكما لَتريدان شرًّا، ارجعا إلى عملكما.

مسكين الدارمي[٨]

الشاعر، وفدَ على معاوية، فأنشد أبياتاً، منها:

---

(١) سمَّاهم في «مروج الذهب» ٥/ ١٨: الطَّرَفَات. وجاء ذكرهم في «اللسان» (طرف)، وفيه: مطرّف، بدل: طراف. وما سلف بين حاصرتين من «مروج الذهب».

(٢) في (ب) و(خ): أذهب. والمثبت من «مروج الذهب»٥/ ١٨ والخبر فيه. وهو بنحوه في «العقد الفريد»٤/ ٢٨، وفيه: مددتَ.

(٣) في «مروج الذهب»: ولئن أدنيت إلينا من الغدر فِتْراً لَنُدنينَّ إليك من الشرّ شِبراً.

(٤) الحَيْزُوم: ما اكتنف الحلقوم من الصدر. ينظر «القاموس».

(٥) مروج الذهب ٥/ ١٨، وينظر «العقد الفريد» ٤/ ٢٨، و«تاريخ دمشق» ٤٧/ ٩٦ ـ ٩٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في (ب) و (خ): فقال عمرو والمغيرة. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٥٣.

(٧) في (ب) و (خ): سيشفع، والمثبت من «أنساب الأشراف» وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٨) هو ربيعة بن أُنيف، ومسكين لقبه، وتحرف في (ب) و (خ) إلى: شكر، وتنظر ترجمته في «مختصر تاريخ دمشق» ٨/ ٢٧٢ ـ ٢٧٦.

مـــا ضـــرَّ لـــي جـــاراً أُجـــاورُه أن لا يـــكـــون لِـــبـــابِـــهِ سِـــتْـــرُ
أعـــمـــى إذا مـــا جـــارتـــي خَـــرَجَـــتْ حـــتـــى يُـــواري جـــارتـــي الـــخِـــدْرُ
وتَـــصَـــمُّ عـــمَّـــا بـــيـــنـــهـــم أُذُنـــي حـــتـــى تـــكـــونَ كـــأَنْ بـــهـــا وَقْـــرُ

الوليد بن عقبة

ابن أبي مُعَيْط بن أبي عَمرو بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو وَهْب، كان من رجال قريش ظَرْفاً، وحِلْماً، وشجاعة، وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين.

ومن ولده عَمرو، أبو قَطِيفة، الشاعر، سيَّره عبدُ الله بن الزبير مع بني أمية إلى الشام لَمَّا نفاهم، فقال:

أقـطـعُ الـلـيـلَ كـلَّـه بـاكـتـئـابٍ وزفـيـرٍ فـمـا أكـادُ أنـامُ
وبـقـومـي بُـدِّلْـتُ لَـخْـماً وكَـلْـباً وجُـذامـاً وأيـن مـنِّـي جُـذامُ
أقْـرِ عـنـي الـسـلامَ إن جـئـتَ قـومـي وقـلـيـلٌ لَـهُـمْ لَـدَيّ الـسـلامُ

فبلغ ابنَ الزُّبير، فرقَّ له وقال: حَنَّ أبو قَطِيفة، من لَقِيَه فليُخبره أنه آمِنٌ.

وبَلَغَه، فرجع إلى المدينة، فمات في طريقه قبل أَنْ يصلَ إليها[1].

يزيد بن الأسود، أبو عَمرو الجُرَشي

[قال الواقدي:] قدم على معاوية ـ وكان صالحاً زاهداً ـ وقد أجدبت الأرض، وانقطع الغيث، فخرج به إلى المُصَلَّى وقال: اللهمَّ إنَّا نتوسَّلُ إليك بخيارنا وأفضلِنا يزيدَ بنِ الأسود، ثم قال: قُمْ يا يزيد، فارْفَعْ يدَيْك، فقام ورفع يَدَيْه، ورفعَ الناسُ أيديَهم، فَسُقُوا حتى كادوا أن لا يبلغوا منازلَهم.

[وذكر ابنُ عساكر يزيدَ بنَ الأسود وقال[2]:] أدرك يزيد الجاهليَّة، وأسلمَ، ولم يلقَ رسولَ الله ﷺ، وسكن الشام بقرية [يقال لها:] زِبدين، من أعمال الغوطة،

(١) ينظر «الأغاني ١/ ٣٤»، و«تاريخ دمشق» ٥٦/ ١٠٠ ـ ١٠٣ (طبعة مجمع دمشق)، و«معجم البلدان» ١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ (برام).

(٢) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٣٩ (مصورة دار البشير)، وما قبله منه ص٢٤٢. وينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٤٨. وما بين حاصرتين من (م).

وكانت له دارٌ بدمشق، وكان يخرجُ من دمشق إلى زِبْدِين، فتُضيءُ له إبهامُه اليمنى، فلا يزال يمشي في ضوئها حتى يبلغَ زِبْدِين.

وكان يسكن داخل الباب الشرقي، فروي أنه كان يصلي العشاء الآخرة بدمشق، ثم يخرج[١] إلى زِبْدِين.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين. وذكره بعضهم في الصحابة.

وكان يسير هو ورجلٌ من أهل حمص في أرض الروم، فسمعَ منادياً ينادي: يا يزيد ابن الأسود، إنَّك لمن المقرَّبين، وإنَّ صاحبك لمن العابدين.

فكان الأوزاعي إذا حكى هذه الحكاية يقول: إلى ههنا[٢] انتهى الفضل.

[قال:][٣] وكان يزيد كثيرَ الغزو، وكانوا يرون أنه من الأبدال، وكان قد حلف أن لا يضحك، ولا ينام مضطجعاً، ولا يأكل سميناً، حتى يلقى الله. فمات وهو على ذلك.

[قال:][٤] واستسقى به الضحَّاك بن قيس بعد موت يزيد بن معاوية، فقال له: قُمْ يا بكَّاء، فاشْفَعْ لنا إلى ربك. فعطف بُرْنُسَه على منكبه، وحسر عن ذراعيه وقال: اللهم إنَّ عبادك هؤلاء يستشفعون بي إليك. فما دعا إلا [دعاءً] قليلاً حتى مُطروا مطراً كادوا يغرقون منه. ثم قال: اللهمَّ إنَّ هذا قد شَهَرَني ـ يعني الضحَّاك ـ فأَرِحْني منه. فما مضت جمعة حتى قُتل الضحَّاك.

وكان يزيد معتزلاً للفتن.

ربيعة بن عِسْل اليَرْبُوعي

من أهل البصرة، وفدَ على معاوية، فقال له: أعنّي على بناء داري باثني عشر ألف جذع، فقال له: وكم سعة دارك؟ قال: فرسخان في فرسخين. فقال: دارك بالبصرة، أو البصرة في دارك؟!

---

(١) في (خ): يصل. والمثبت من (ب) و (م) وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق».

(٢) في «تاريخ دمشق»: هذا.

(٣) في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٤١ (مصورة دار البشير).

(٤) المصدر السابق.

وخطب إلى معاوية ولم يُزوِّجه[١].

عُبَيْد[٢] بن سَرِيَّة الجُرْهُمي

عاش ثلاث مئة سنة[٣]، وأدرك الإسلام، وأسلم، وقصد معاويةَ بالشام، فقال له: كيف وجدتَ الدنيا؟ فقال: يوم كيوم، وليلة كليلة. فقال له معاوية: ما أحسنُ الأشياءِ في عينك؟ قال: عينٌ خرَّارة في أرضٍ خَوَّارة. قال: ثم ماذا؟ قال: فَرَسٌ في بطنها فَرَس. قال: أَقِمْ عندنا. قال: إن أبي وأمي هلكا في مثل هذه السنة، ونفسي تحدِّثُني أني هالك فيها، فلا حاجة لي في المُقام عندك. فقال له معاوية: سلني حاجتَك. فقال: أمَّا الآخرةُ فإنَّها بيد غيرك، وأمَّا الدُّنيا فما تقدرُ على ردِّ شبابي، فما أسألُك؟ فقال: هل رأيتَ حَرْباً؟ يعني جدَّه. قال: رأيتُ أميةَ أعمى[٤] يقودُه غلامٌ له يقال له: ذكوان. فقال: لا تقل هذا، فإنَّهم سادةُ الحيّ. فقال: قد قلتُ ما رأيتُ، فقُلْ أنتَ ما شئتَ[٥].

عمرو بن عامر السلمي

دخل على معاوية وهو شيخ كبير يُرْعَشُ، فقال له معاوية: كيف تجدُك يا عمرو؟ فقال: أحببتُ[٦] النساء وكنَّ الشفاء[٧]، وفقدتُ المَطْعَمَ وكان المَنْعَم، وثقُلْتُ على وجه الأرض، وقَرُبَ بعضي من بعض، فنومي سُبات، وفهمي هَفَوات[٨]، وسمعي تارات. قال: فهل قلتَ في ذلك شعراً؟ قال: نعم، فأنشده:

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٥٤.

(٢) تحرف «عبيد» في (ب) و (خ) إلى: «عسل»، والترجمة ليست في (م).

(٣) هذه رواية الكلبي ذكرها ابن عساكر، وذكر في رواية أخرى أنه عاش مئتين وعشرين سنة، والله أعلم بصحة ذلك. تاريخ دمشق ٤٥/ ٤٢ ـ ٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في (خ): عمي. وسلف مثل هذه القصة في ترجمة ثوب بن تلدة ص٨٣، والله أعلم.

(٥) تاريخ دمشق ٤٥/ ٤٢ ـ ٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في «الإصابة» ٧/ ٢٧٩: اجْتَنَبْتُ. وهو الأشبه (وقد ذكره ابن حجر فيه في القسم الثالث من حرف العين).

(٧) في (ب) و (خ): للسفاد. والمثبت من المصدرين السابقين. والترجمة ليست في (م).

(٨) ويمكن أن تُقرأ أيضاً في النسختين (ب) و (خ): هنوات. وفي «تاريخ دمشق» ٥٥/ ٢٧٢: هنات.

إذا ذهبَ القَرْنُ الذي أنتَ فيهمُ ... وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنتَ غريبُ
وما للعظامِ الباليات من البِلَى ... شفاءٌ وما للرُّكبَتيْنِ طبيبُ
وإنَّ امْرَأً قد سارَ تسعين حِجَّةً[١] ... إلى مَنْهلٍ من وِرْدِهِ لَقريبُ

فقال له معاوية: ما تُحبُّ؟ قال: عشرةَ آلاف درهم، أَقضِي بها ديني، وعشرةَ آلاف درهم أَقسِمُها في أهلي وعَشيرتي، وعشرةَ آلاف درهم أُنفقُها بقيَّةَ عُمُري. فقال له معاوية: نعم. فضرب له بكلِّ عشرةٍ مئةً، فأطلقَ له ثلاث مئة ألف درهم، فقبضَها ورحل.

ذكر الوافدات على معاوية:

بَكَّارَة الهلاليَّة

كانت قد أسنَّتْ وعَشِيَ بصرُها.

[وقيل: إنها] دخلَتْ عليه لَمَّا قدم المدينة، فقال لها: كيف أنتِ يا خالة؟ فقالت: بخير. قال: غَيَّرَكِ الدهر! فقالت: الدهرُ ذو غِيَر[٢]، مَنْ عاشَ كَبِرَ، ومن ماتَ قُبِرَ.

وكان عنده مروان، فقال: وهي القائلة:

أترى ابنَ هندٍ للخلافةِ مالكاً ... هيهاتَ! ذاك - وإنْ أراد - بعيدُ
مَنَّتْك[٣] نفسُك بالخلافة ضَلَّةً[٤] ... أغواك عمرو[٥] والشقيُّ سعيدُ[٦]

فقال سعيد بن العاص: وهي القائلة:

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى ... فوقَ المنابرِ من أميَّةَ خاطبا
فاللهُ أخَّرَ مُدَّتي فتطاولَتْ ... حتى رأيتُ من الزمان عجائبا[٧]

---

(١) أي: سنةً.

(٢) أي: ذو أحوال وأحداث متغيّرة.

(٣) في (ب) و (خ): مسكت. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٥.

(٤) في (م): ظله. وفي «العقد الفريد»: في الخلاء ضلالةً.

(٥) في (م): أعوان عمرو، وضبطت فيها الراء بتنوين الكسر.

(٦) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٥: أغراك عمرو للشقا وسعيدُ.

(٧) في (ب) و (خ): عجيبا. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «العقد الفريد».

obeikandl.com

في كل يومٍ لا يزال[١] خطيبُهم بين الجميعِ لآلِ أحمدَ عائبا

فقالت له: يا معاوية، أنا القائلة [جميع] ما قالوا: وما خَفِيَ عنكَ أكثرُ. فضحك معاوية وقال: ما يمنعُنا ذاك من بِرِّكِ، اذْكُري حوائجَكِ. فقالت: أمَّا الآنَ فلا. ثم خرجت.

الزرقاء بنت عديّ الهَمْدانيَّة

[قال علماء السير:] وفَدَتْ عليه بدمشق، وكانت امرأةً فصيحةً، جَزْلَةَ الرأي، سريعةَ الجواب، وكانت في أيام صِفِّين تقومُ بين الصفوف، وتُحرِّضُ الناسَ على قتال معاوية، وكانت تحبُّ أميرَ المؤمنين رضي الله عنه.

ولما صالح الحسنُ رضي الله عنه معاويةَ وعاد إلى الشام؛ جلس ليلةً[٢] يَسْمُرُ وعندَه عَمْرو ابن سعيد[٣]، وعُتبة بن أبي سفيان[٤]، والوليد بن عتبة[٥]، ذكروها وما فعلت بصِفِّين، فكتب إلى المغيرة بن شعبة أن يُوفدَها عليه مع فرسان من قومها مكرَّمة.

فأرسل إليها المغيرةُ، فأخبرها، فقالت: إنْ كان الأمرُ إليَّ؛ فلا حاجةَ لي إليه، وإن كنتُ مُكْرَهة فالمُكْره معذور.

فجهَّزها إلى معاوية، فلما دخلَتْ عليه وعنده من سَمَّينا؛ قال: مَرْحَباً وأهلاً. فقالت: عندك المَرْحَبُ والأهل. فقال: كيف كان مسيرُك؟ قالت: كريمة كَرَبِيبَةِ بيتٍ، أو كطفل مُهِّدَ له[٦]. فقال: ألستِ الراكبةَ يوم صِفِّين الجملَ الأحمرَ تُوقِدين نارَ الحرب، وتُحرِّضين الناسَ على قتالي؟ قالت: بلى. قال: فإنك قد شَرَكْتِ ابنَ أبي طالب في كل دمٍ سفَكَه. فقالت: أحسنَ اللهُ بِشارَتَك. فقال: واللهِ لَوَفاؤُكم له بعد وفاتِه أعجبُ من حُبِّكم له في حال حياته! فقالت: مات الرأسُ وبُتر الذَّنَب، ولن يعودَ ما ذهب، والدَّهرُ ذو غِيَر، ومن تفكَّر اعتبر. فقال: وهل تحفظين مِمَّا كنتِ تقولين شيئاً؟ قالت: لا والله. قال: فأنا أحفظُ منه، كأني بكِ وأنتِ تقولين: أيُّها الناسُ، إنكم قد أصبحتُم في فتنة غَشَّتْكُم جلابيبَ

(١) في «العقد الفريد»: للزمان.

(٢) في (ب) و (خ): إليه، وهو خطأ.

(٣) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٦: عمرو وسعيد.

(٤) في (م): وعتبة أخوه.

(٥) في (م) و«العقد الفريد»: عقبة.

(٦) في (م): كريهة، بدل قوله: كربيبة بيت أو كطفل مهّد له.

ظُلَمِها، وجارَتْ بكم عن قَصْدِ المَحَجَّة[١]، فيا لَها من فتنةٍ عمياءَ صمَّاءَ بكماء، لا تَسْمَعُ لِناعِقِها، ولا تَسْلَسُ لقائدها، إن المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكواكب لا تُنير مع القمر، وإن الحديد بالحديد يُفْلَح، وإنَّ خضاب النساء الحِنَّاء، وإنَّ خضابَ الرجالِ الدماء[٢]. فهلمُّوا قُدُماً غيرَ ناكصين ولا متشاكسين.

وذكر كلاماً طويلاً.

ثم قال لمن عنده: ما تَرَوْن فيها؟ قالوا: اقْتُلْها. قال: بئس ما أشَرْتُم! أيحسُنُ بمثلي أن يُقال عنه: إنه قتلَ امرأةً بعد ما ظَفِرَ بها[٣]!.

ثم قال لها: اذكُري حاجتَكِ. فقالت: آليتُ على نفسي أن لا أسألَ أميراً شيئاً، ومثلُكَ مَنْ يجودُ من غير طلب، ويُعطي من غير مسألة.

فأحسنَ إليها ووصلَها ومَنْ معَها بجوائزَ سَنِيَّة، وكتبَ إلى المغيرة يُوصيه بها.

سَوْدَة بنت عُمارة بن زهير[٤] الهَمْدَانيَّة

وفدَتْ على معاوية، وكانت مِمَّن شَهِدْنَ صِفِّين مع أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب رضوان الله عليه، فقال لها: أنت القائلة لأخيك يوم صِفِّين:

شَمِّرْ كفعلِ أبيك يا ابنَ عُمارةٍ ... يومَ الطِّعان ومُلتَقَى الأقرانِ
وانْصُرْ عليًّا والحسينَ ورَهْطَهُ ... واقْصِدْ لهندٍ وابنِها بهوانِ
وقُدِ الجيوشَ وسِرْ أمامَ لوائِهِ ... قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسِنانِ

فقالت: دَعْ عنك أذكارَ[٥] ما مضى، فإنه قد نُسيَ. فقال: وما حملَكِ على ذلك؟ فقالت: حبُّ عليٍّ واتِّباعُ الحقّ، وأَنشُدُك اللهَ اتِّباعَ ما قد مضى. فقال: ما مثلُ مقامِ

(١) أي: جادَّة الطريق. ووقع في (ب) و (خ): الحجَّة.

(٢) في (ب) و (خ): الدنيا، وهو خطأ.

(٣) قول معاوية لمن عنده: ما ترون فيها.... إلخ، في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٦ ـ ١٠٨، و«تاريخ دمشق» ص١١٠ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق)؛ جاء في صدر القصة، وقبل الكلام عن طلب معاوية من والي الكوفة إيفادها إليه، وهو الأنسب بسياق الخبر.

(٤) كذا في (ب) و (خ). ولم ترد الترجمة في (م). وفي «العقد الفريد» ٢/ ١٠٢: الأشتر، وفي «تاريخ دمشق» ص١٧٨: الأسك.

(٥) كذا في (ب) و(خ)، والخبر بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٢، و«تاريخ دمشق» ص١٧٩، وفيهما: تذكار.

أخيكِ يُنْسَى. فقالت: فات أمسِ، فخُذْ في اليوم. فقال: اذكري حاجَتَكِ. فقالت: قد أصبحتَ للناس سيِّداً، ولأمورهم متقلِّداً، واللهُ سائلُك عمَّا افترضَ عليك من حقِّنا، ولا تزال تُقْدِمُ علينا من يَنُوء بعزِّك، ويبطش بلسانك[١] ويحصدنا حَصْدَ السُّنْبُل، ويدوسُنا دَوْسَ البقر، ويدُقُّنا دَقَّ الحصيد، ويسومُنا الخَسِيسَة، وهذا ابنُ أرطاة[٢] قدمَ بلادَنا، فقَتلَ رجالَنا، واستصفى أموالَنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومَنَعة، فإمَّا عَزَلْتَه فشكرناك، وإمَّا تركتَه فذَمَمْناك. فقال: أتُهدِّديني بقومكِ؟! واللهِ لقد هممتُ أن أردَّكِ إليه على قَتَب[٣] أشْرَس، فيُنْفِذَ حكمَه. فسكتَتْ وقالت:

صلَّى الإلهُ على رُوحٍ تضمَّنَها ... قبرٌ فأصبحَ فيه العَدْلُ مَدْفُونا
قَدْ حالفَ الحقَّ لا يبغي به بَدَلاً ... فصار بالحقِّ والإيمانِ مَقْرُونا

قال: ومَنْ ذاك؟ قالت: أميرُ المؤمنين أبوحسن. فقال: ما أرى عليكِ أثراً منه. قالت: بلى. ولَّى صدقاتِنا رجلاً فحاف علينا ...[٤]، فأتيتُه وهو قائم يصلِّي، فانصرفَ من صلاته، ثم قال برحمة ورأفة وتعطُّف: ألكِ حاجة؟ فأخبرتُه، فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهمَّ إني لم آمُرْه بذلك، ولا أرْضَى بظلم الرعيَّة. ثم أخرجَ من جيبه قطعة جِراب[٥]، فكتبَ فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ الآية[٦]. إذا أتاك كتابي هذا فاعْتَزِلْ عملَنا.

فقال معاوية: يا أهل العراق لقد جرَّأكم ابنُ أبي طالب على الولاة، وغرَّكم قولُه:

---

(١) في «تاريخ دمشق» ص١٧٩ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق): بسلطانك، وفي «العقد الفريد» ٢/ ١٠٣: وبسط سلطانك.

(٢) هو بُسْر بن أرطاة، أو ابن أبي أرطاة.

(٣) القَتَب: الرَّحْل الصغير على قدر سَنام البعير.

(٤) ثمة كلمة في (ب) و (خ) لم أتبيَّنها، رسمها: يسيراً. والترجمة ليست في (م).

(٥) الجراب: وعاء يُحفظ فيه الزاد ونحوُه.

(٦) رقم ٥٧، من سورة يونس. وجاء بدلَها في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٤، و«تاريخ دمشق» ص١٨٠ قوله: «قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ». وهو من آية الأعراف (٨٥) وآية هود (٨٥) في قصة شعيب عليه السلام.

فلو كنتُ بوَّاباً على بابِ جنَّةٍ لقلتُ لهَمْدان ادخُلي بسلامِ

ثم قال: اكتُبوا لها إلى العامل بالعدل والإنصاف. فقالت: ألي خاصَّة، أم لقومي عامَّة؟ فقال: وما أنتِ وقومُك؟ فقالت: إنه واللهِ لَلُؤْمٌ انفرادي عنهم، فإنْ كان عدلاً شاملاً؛ وإلَّا وَسِعَني ما وسِعَ قومي. فقال: اكتبوا لها ولقومها.

عِكْرِشَة بنت الأطرش[١]

دخلَتْ على معاوية مُتوكّئة على عُكَّاز، فسلَّمت عليه بإمرة المؤمنين، فقال: يا عِكْرِشة، الآن صِرتُ أميرَ المؤمنين؟! فقالت: نعم إذْ لا أبو حسن حيّ. فقال: ألستِ المتقلِّدةَ حمائلَ السيف في صِفِّين، وأنتِ قائمةٌ بين الصَّفَّيْن تقولين: أيُّها الناس، إن معاوية قد دَلَفَ[٢] إليكم بعُجْم العَرَب، غُلْفِ القلوب، لا يفقهون الإيمان، ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبُّوه، فاللهَ اللهَ عبادَ الله في دين الله، وإياكم والتَّثبُّط[٣]، فإنه ينقُضُ عُرى الإيمان، ويُطفئ نورَ الحقّ. هذه بدرٌ الصغرى، والعقبةُ الأُخرى، يا معاشرَ المهاجرين والأنصار، امْضُوا على بصيرتكم[٤]، واصبرُوا على عزيمتكم، لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتُم، ألا وإنَّ الجنة تحت ظِلال السيوف، وهذا معاويةُ قد أتاكم بأهل الشام، كالحُمُر الناهقة، وأنتم أُسُودُ الشَّرَى[٥].

قال: ما الذي حملكِ على ذلك؟ فقالت: دَعْ عنكَ هذا، فقد كانت صدقاتُنا تُؤخذ من أغنيائنا، فتردُّ في فقرائنا، وقد فقدنا ذلك، فما يُجْبَرُ لنا كَسِير، ولا يُنْعَشُ لنا فقير. فأمر بردِّ صدقاتِهم فيهم[٦].

---

(١) في «تاريخ دمشق» ص٢٥٤ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق): عكرشة بنت الأطشّ بن رواحة.

(٢) أي: مشى.

(٣) في «العقد الفريد» ٢/ ١١، و«تاريخ دمشق» ص٢٥٤: والتواكل.

(٤) في (ب) و (خ): نصرتكم. والمثبت من المصدرين السابقين. ولم ترد الترجمة في (م).

(٥) قال ياقوت في «معجم البلدان» ٣/ ٣٣٠: يقال للشجعان: ما هم إلا أُسُود الشَّرَى. وقال بعضهم: شَرَى: مأْسَدَةٌ بعينها. وقيل: شَرَى الفرات: ناحيتُه، به غِياض وآجام تكون فيها الأسود... وقال نصر: الشَّرَى؛ مقصور: جبلٌ بنجد في ديار طَيِّئ، وجبلٌ بتهامة موصوف بكثرة السِّباع.

(٦) ينظر «العقد الفريد» ٢/ ١١١ ـ ١١٢، و«تاريخ دمشق» ص٢٥٤ ـ ٢٥٥ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق).

أمّ سِنان المَذْحِجيَّة

وفَدَتْ عليه متظلِّمةً من مروان بن الحَكَم؛ حبس غلاماً، هي جدَّتُه، فدخلَتْ عليه فقال: مَنْ أنتِ؟ فانتسبَتْ له، فعرفَها، فقال: ما الذي أقْدَمَكِ علينا اليوم، وبالأمسِ تشتمينا، وتُحرِّضين علينا عدوَّنا؟ فقالت: إنَّ لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يَسْفَهون بعد حِلْم، وإنَّ أولى [الناس] باتِّباع ما سنَّه آباؤه لأنتَ. فقال: أنسيتِ قولكِ:

يا آلَ مَذْحِجَ لا مُقامَ فشَمِّرُوا ... إنَّ العدوَّ لآل أحمدَ يرصُدُ[١]

هذا عليٌّ كالهلالِ تحفُّهُ ... وَسْطَ السماء من الكواكب أَسْعُدُ[٢]

خيرُ الخلائق وابنُ عمِّ محمدٍ ... إنْ يهدكُمْ فاليوم[٣] منه تهتدوا

فقال بعض جلسائه وهي القائلة:

إمَّا هلكتَ أبا الحُسَيْنِ[٤] فلم تزل ... بالحقّ[٥] تعرف هادياً مهديَّا

قد كنتَ بعد محمد خَلَفاً كما[٦] ... أوصى إليك بنا وكنت وَفِيَّا[٧]

فاليومَ لا خَلَفٌ يؤمَّل[٨] بعدَهُ ... هيهات نأملُ[٩] بعدَه إنْسيَّا

فقالت: يا معاوية، واللهِ ما أورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هذا وأمثالُه، فادْحَضْ مقامَهم، وأبْعِدْ منزلتهم عنك تزدَدْ من الله قُرْباً ومن المسلمين حُبًّا، كان أميرُ المؤمنين أحبَّ إلينا منكَ، وأنتَ أحبُّ إلينا من غيرك. قال: مِمَّن؟ قالت: من مروان

---

(١) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٩، و«تاريخ دمشق» ص٥٢٠: يقصدُ.

(٢) يعني سُعود النجوم، وهي عدة كواكب يقال لكل واحد منها سَعْد، منها سَعْد الذابح، وسَعْد بَلَع، وسعد السعود، وسعد الأخبية. ينظر «القاموس».

(٣) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٩: بالنور، بدل: فاليوم. وجاء الشطر الثاني للبيت في «تاريخ دمشق» ص٥٣١: وكفى بذلك في العدوّ تهدُّدُ.

(٤) في (ب) و(خ): أبا تراب، ولا يتَّزن به البيت، والمثبت من المصدرين السابقين.

(٥) في (ب) و (خ): فلن يغرك... فالحق (؟) والمثبت من المصدرين السابقين.

(٦) في (ب) و(خ): لنا. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٧) في (ب) و (خ): وصيًّا. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٨) في (ب) و (خ): ليومك. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٩) في «تاريخ دمشق»: نمدح.

وسعيد. قال: حاجتَكِ؟ فذكرتْ قصتها مع مروان وقالت: إنه لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنَّة، يتتبَّعُ عثراتِ المسلمين، ويكشف عوراتِ المؤمنين، وحبس ابني، فأتيتُه أُكلِّمُه، فأغلظ لي.

فوصلها معاوية وأحسنَ إليها، وكتبَ إلى مروان ينهاه عنها، ويأمره بإطلاق ابنها.

ذكر أخبار متفرقة من سيرة معاوية:

ولَّاه عمر رضي الله عنه الشام عند موت أخيه يزيد بن أبي سفيان سنة تسع عشرة[١].

وكان عمر رضي الله عنه كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بغزو قَيْساريَّة، فغزاها وبها بطارقةُ الروم، فخلَّف أخاه معاوية عليها. وسارَ يزيد يُريد دمشق، وأقام معاوية على قيساريَّة حتى فتحَها في شوَّال سنة تسع عشرة.

وتوفّي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام، واستخلفَ أخاه على عمله، فكتبَ إليه عمر رضي الله عنه بعهده على ما كان يزيدُ يليه من عمل الشام، ورزقَه ألف دينار في كل شهر[٢]، فأقام أربع سنين. ومات عمر رضي الله عنه، فأقرَّه عثمان رضي الله عنه على ذلك اثنتي عشرة سنة[٣].

وكان عمر رضوان الله عليه إذا دخل الشام ورأى معاوية يقول: هذا كسرى العرب[٤].

وذُمَّ [معاويةُ] عند عمرَ رضوان الله عليه، فقال: دعُونا من ذمِّ مَنْ يضحكُ في الغضب، ولا يُنال ما عندَه إلا بالرِّضى، ولا يُؤخذُ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه[٥].

وقال [ابن] عمر: ما رأيتُ أحداً بعدَ رسول الله ﷺ أسودَ من معاوية. قيل له: فالخلفاءُ الأربعة؟ فقال: كانوا واللهِ خيراً منه وأفضل، وكان أسودَ منهم[٦].

---

(١) التبيين في أنساب القرشيين ص٢٠٥. وذكر فيه ابن قدامة أيضاً قبله أن يزيد بن أبي سفيان مات في طاعون عَمَواس سنة ثماني عشرة. وهو في «طبقات» ابن سعد ٦/ ١٥.

(٢) كذا في «التبيين». وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤ و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ١٩ و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٣٣: ثمانين ديناراً في كل شهر.

(٣) التبيين في أنساب القرشيين ص٢٠٥.

(٤) كذا وقعت العبارة في (ب) و (خ) (والكلام ليس في م)، وعبارة «التبيين» ص٢٠٦ (والكلام منه): وقال عمر رضي الله عنه حين دخل الشام ورأى معاوية: هذا... وعبارة «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٢١٧: كان عمر إذا رأى معاوية قال....

(٥) التبيين ص٢٠٦ وما سلف بين حاصرتين منه.

(٦) المصدر السابق، وما سلف بين حاصرتين منه، وثمة أخبار بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٢٧٦.

وكان عاملُ معاويةَ على المدينة إذا أرادَ أنْ يُبْرِدَ بريداً نادى: مَنْ له حاجةٌ إلى أمير المؤمنين فليكتبها. فكتب زرُّ بن حُبَيْش ـ أو أيمن بن خُرَيْم ـ كتاباً لطيفاً، ورمى به بين الكتب، وفيه:

إذا الـــرجـــالُ ولَـــدَتْ أولادُهـــا ... واضـطـربَـتْ مـن كِـبَـرٍ أعـضـادُهـا
وجـعـلَـتْ أسـقـامُـهـا تَـعْـتَـادُهـا ... فـهـي زُروعٌ قـد دَنـا حـصـادُهـا

فلما وردت الكتب قرأ معاوية الكتاب، فقال: نعى إليَّ نفسي[١].

ونظر إلى رجل في عباءة فازدراه، فقال له: إنَّ العباءة لا تُكلِّمك، وإنَّما يُكلِّمك مَنْ فيها[٢].

وقال قَبِيصة بن جابر[٣] الأسديّ: صحبتُ عمر بن الخطاب ﷺ، فما رأيتُ رجلاً أفقهَ ولا أحسنَ مدارسةً منه، وصحبتُ طلحةَ بنَ عُبيد الله، فما رأيتُ رجلاً أعطى الجزيل من غير مسألة مثله[٤]، وصحبتُ معاويةَ، فما رأيتُ رجلاً أثقل حلماً، ولا أبعدَ أناةً منه، وصحبتُ زياداً، فما رأيتُ رجلاً أشبه سريرةً بعلانية منه، ولو أن المغيرةَ بنَ شعبة جُعل في مدينة لا يُخرج من أبوابها كلِّها إلا بالغَدْر[٥] لخرجَ منها.

ذكر أولاده:

كان له من الولد[٦]: عبدُ الرحمن، ويزيد، وعبدُ الله، وهند، وعاتكة[٧]، ورَمْلَة، وصفيَّة، وعائشة.

وأولُ مولودٍ وُلد له عبدُ الرحمن، وبه كان يكنى [ولا عقبَ له.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٥، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٥.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٦.

(٣) في (ب) و (خ): الحارث، بدل: جابر، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٣٧. والخبر فيه مختصر.

(٤) في «تاريخ الطبري»: للجزيل... منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١١٧ و ١٣٦.

(٥) يعني بالمكر، كما في روايات أخرى.

(٦) في (م): قال هشام: كان لمعاوية من الولد.

(٧) لم أقف على من ذكر عاتكة من أولاد معاوية ﷺ، وقد صرَّح البلاذُري في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧ أن عاتكة هي بنت عبد الله بن معاوية. وجاء ذكرها كذلك في «المعارف» ص٣٥٠، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٦٣ في الكلام على عبد الله بن معاوية.

وأما عبدُ الله، فكان ضعيفاً، ولقبُه: مُبَقَّت[١]] ولا عقبَ له من الذكور.

[وقال ابن عساكر:][٢] وكنيتُه أبو الخير، وقيل: أبو سليمان، وكان يضعَّف في عقله.

وأختُه هند بنت معاوية. وأمُّ عبد الرحمن وعبد الله وهند: فاختة[٣] بنت قَرَظَة بن عَبْد عَمرو بن نوفل بن عبد مناف. غزت فاختة مع معاوية قبرس سنة ثمان وعشرين، أو خمس وعشرين، وماتَتْ هناك[٤].

وقيل: إن التي ماتت هناك كَنُود ابنة قَرَظة أختُ فاختة[٥].

قال الطبري[٦]: مات عبد الرحمن صغيراً.

ويزيد أمُّه ميسون بنت [بَحْدَل بن أُنَيْف بن] دَلْجَة بن قُنافة بن عديّ بن زهير بن حارثة ابن جناب الكلبيّ، ولَدَتْ له يزيد وابنةً يقال لها: أَمَةُ رَبِّ المشارق، فماتت صغيرة.

رَوَتْ ميسون عن معاوية الحديث، وروى عنها محمد بن عليّ، وكانت لبيبة، وهي التي دخل عليها خَصِيٌّ، فاستترَتْ منه[٧].

[قال البلاذُري: أم يزيد اسمها ميسون بنت بَحْدَل بن أُنَيْف][٨] كلبيّة، حُملت إلى معاوية من البادية، فأسكنها الخضراء[٩] بدمشق، فأقامت عنده مُدَيْدَةً، فَحنَّتْ إلى وطنها، فقالت [تتذكَّر الزمنَ الماضي بهذه الأبيات]:

لَلُبْسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني ... أحبُّ إليَّ من لُبْس الشُّفوفِ

---

(١) وزن، معظَّم، أي: أحمق (كما في القاموس). ووقع في هذا الموضع من النسخ الثلاث سقط واضطراب. واستدركتُ ما بين حاصرتين من «المعارف» ص٣٥٠ ليستقيم الكلام، وتحرف فيه لفظة: مبقَّت، إلى: منقب، وتحرف في «طبقات» ابن سعد ٦/ ١٥ إلى: مبقث. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٥، و«تاريخ دمشق» ٣٩/ ١٥٦ (ترجمة عبد الله بن معاوية) و ٤٢/ ٩ (ترجمة عبد الرحمن بن معاوية).

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، والكلام في «تاريخ دمشق» ٣٩/ ١٥٦ (ترجمة عبد الله بن معاوية) بنحوه.

(٣) في (ب) و (خ): وفاختة، وهو خطأ، والكلام ليس في (م).

(٤) تاريخ دمشق ص٢٦٦ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق).

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق ص٣١٨ (تراجم النساء).

(٦) في «تاريخه» ٥/ ٣٢٩.

(٧) تاريخ دمشق ص٣٩٧ (تراجم النساء).

(٨) ما بين حاصرتين استدركتُه من (م) (على بعض تحريف فيه) وجاء فيها في ترجمة مختصرة لها. ولم أقف عليه عند البلاذُري في «أنساب الأشراف». وهو بنحوه في «مختصر تاريخ دمشق» ص٤٠١ (تراجم النساء).

(٩) أي: قصر الإمارة.

وبيتٌ تخفُقُ الأرواحُ[١] فيه ... أحبُّ إليَّ من قَصرٍ مُنيفِ
وكلبٌ ينبحُ الأضيافَ منّي[٢] ... أحبُّ إليَّ من هِرٍّ أَلوفِ
وخِرْقٌ من بني عمِّي كريمٌ ... أحبُّ إليَّ من عِلْجٍ عَلِيفِ[٣]

وسمعَها معاويةُ فقال: أنا العِلْجُ العَلِيف، فطلَّقَها وردَّها إلى أهلها، وذلك بعد ما ولدت يزيد.

[والخِرْق، بخاء معجمة وراء مهملة: السَّخِيُّ الكريم].

ولم يكن عند معاوية أعزَّ عليه من يزيد، واجتمع عنده الخطباء، فأكثَرُوا، فقال: لأَرْمِيَنَّكُم بالخطيب المِصْقَع، قُم يا يزيد.

وكان عبدُ الله بنُ معاوية من أضعف الناس عقلاً وأحمقِهم، وشهد مَرْجَ راهِط مع الضحَّاك بن قيس، فأُخِذَ أسيراً، فأُتيَ به عَمرَو بنَ سعيد الأشدق، فقال عمرو: يا أبا سليمان، نحن نُقاتل لنَشُدَّ مُلْكَكُم، وأنت تُقاتل لتُضعفه! فقال له: اسكُتْ يا لطيم الشيطان[٤].

مرَّ عبدُ الله بطحَّان قد علَّق في عنق بغلِ الطاحونة جُلاجِلَ[٥]، فقال عبد الله: لِم فعلتَ هذا؟ فقال: أنا في العِلّيَّة وهو يدور، فربَّما وقف ولم أعلم به، فجعلتُ في عنقه هذه الجُلاجِل حتى إذا وقف علمتُ. فقال: أرأيتَ لو وقفَ وحرَّك رأسَه، من أينَ تعلم أنه قد وقف؟ فقال الطحَّان: ليس له عقل مثل عقل الأمير، إذْ لو كان له عقلٌ كعقل الأمير لوقف[٦]!.

---

(١) في (م): الأرياح، وكلاهما جمع ريح.

(٢) في (م): منه.

(٣) أي: سمين (قاله ابن عساكر). ووقع في (ب) و (خ): عنيف (وكذا في الموضع الآتي) والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ص٤٠٠ و ٤٠١ (تراجم النساء).

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٣٠٨، وتاريخ دمشق ٣٩/ ١٥٧ (طبعة مجمع دمشق). قوله: لطيم الشيطان: لقب لعمرو بن سعيد الأشدق لقب به لأنه كان أفقم مائل الذقن. قاله العسكري في «الأوائل» ١/ ٣٦١. ويقال هذا اللقب أيضاً لمن به لَقْوَة. ينظر «مجمع الأمثال» ١/ ٤٣٧.

(٥) جمع جُلْجُل، وهو الجرس الصغير.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق ٣٩/ ١٥٧.

وبعث عبدُ الله بن معاوية إلى خالد بن عبد الله بن أسيد بقُبَّة إلى العراق، فلما وليَ الحجَّاج وجدَها، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يقول: إن عبد الله بن معاوية بعث بها إلى مصعب بن الزبير. فغضب عبد الملك وقال لعبد الله: ألستَ صاحبَ المَرْج، وتُهدي إلى عدوِّي قُبَّة؟! فقال: كذب الحجَّاج، إنما بعثتُ بها إلى خالد بن عبد الله. فصدَّقه عبد الملك[١].

وأما هند [بنت معاوية] فتزوَّجها عبدُ الله بنُ عامر بن كُريز.

[قال ابن عساكر[٢]: كان دارُها بدمشق في دَرْب القلي] ولما كانت الليلة التي بنى بها ابنُ عامر امتنعت منه، فضربَها، فبكت وبَكَيْنَ جواريها[٣] وصِحْنَ، فسمع [ذلك] معاوية، فأُخبر الخبر، فجاء فدخل وقال لابن عامر: قَبَّحَكَ الله، مثلُ هذه تُضرب! وكانت بنتَ تسع سنين، وكان معاوية قد بنى لها داراً إلى جانبه، وفتح لها باباً إليه. ثم قال لابن عامر: اخرُجْ. فخرج، فقال لها معاوية: يا بُنَيَّة، إنما هو بَعْلُكِ الذي أحلَّه اللهُ لكِ، وأحلَّكِ له. وأوجب الله عليك طاعته. ألم تسمعي إلى قول القائل:

مِن الخَفِراتِ[٤] البِيض، أمَّا حَرامُها فصعبٌ وأمَّا حِلُّها فذَلُولُ

ثم خرج، ودخل ابنُ عامر، فنالَ منها حاجته.

[وقد ذكرنا أنَّ ابنَ عامر طلَّقها لَمَّا رأى الشيب في وجهه][٥].

وأمَّا عاتكة بنت معاوية[٦] فتزوَّجها يزيدُ بن عبد الملك، وفيها قيل:

يا بيْتَ عاتكةَ التي أتَعَزَّلُ حَذَرَ العِدَا وبهِ الفؤادُ مُوَكَّلُ[٧]

---

(١) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٦. ولم يرد هذا الخبر ولا اللذان قبله في (م).

(٢) تاريخ دمشق ص٤٥٩ ـ ٤٦٠ (تراجم النساء). وما بين حاصرتين من (م).

(٣) كذا في النسخ، وهو لغة.

(٤) جمع خَفِرة، وهي شديدة الحياء.

(٥) في ترجمته في أحداث السنة الثامنة والخمسين.

(٦) كذا قال المصنف، وذكرها أيضاً أول الفقرة، والذي قاله البلاذُري في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧: إنها بنت عبد الله بن معاوية.

(٧) البيت للأحوص الأنصاري، قيل: اسمه عبد الله، ولُقِّب بالأحوص لِحَوَصٍ في عينيه (أي: ضِيق في مُؤخِر العين). ينظر «الأغاني» ٤/ ٢٢٤ و ٢١/ ٩٥ و ٩٨. قال أبو الفرج: أتعزَّل، أي: أكونُ بمَعْزِلٍ عنه، والعِدا: جمع عدوّ. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧.

وأمَّا رَمْلَة بنتُ معاوية؛ [فقال البلاذُري[١] :] أمُّها كَنُود بنتُ قَرَظة [أخت فاختة.

قال ابن عساكر[٢] :] وكانت لها دار بدمشق في طرف زقاق الرمان، وطاحونة معروفة إلى هلمَّ جَرًّا، وشهدَتْ وفاةَ أبيها معاوية، وتزوَّجت عمرو بن عثمان بن عفَّان، فولدَتْ له خالداً وعثمان.

واشتكى عمرو بالمدينة، فكان عُوَّاده يدخلون عليه ويخرجون، ويتخلَّف عنده مروان، فيُطيل، فأنكرَتْ رَمْلَةُ ذلك، فخرقَتْ كُوَّةً، وتسمَّعت عليه يوماً، فإذا مروان يقول لعمرو: ما أخذَ معاوية الخلافة إلا باسم أبيك، فما يمنعُكَ من النهوض إلى حقِّك؟ فلنحن أكثرُ رجالاً منهم، منّا فلان، ومنهم فلان، حتى عَدَّ رجال بني حرب، ورجال بني أبي العاص[٣]، وعَدَّ ابْنَيها في رجال أبي العاص.

ثم إنَّ عمراً بَرِئَ وخرجَ إلى الحجّ، وخرجَتْ رَمْلَةُ إلى الشام، فدخلت على أبيها، فقال: واسَوْأتاه! أتُطَلَّقُ الحرَّة؟! فقالت: ما طلَّقني، وإنما كان من الأمر كذا وكذا، فما زال مروان يعدُّ رجال بني العاص حتى عدَّ ابنيَّ خالداً وعثمان، فتمنَّيْتُ موتَهما.

فكتب معاويةُ إلى مروان:

أواضعُ رِجْلٍ فوق أُخرى تَعُدُّنا ... عديدَ الحصى ما إنْ تزالُ تُكاثرُ
وأُمُّكمُ تُزْجي تُؤَاماً[٤] لِبَعْلِها ... وأُمُّ أخيكم نَزْرَةُ الوُلْدِ عاقرُ؟!

ثم عدلَ مروان عن المدينة.

وكتب إليه[٥] :

تُفاخرني بكثرتها قُرَيْطٌ[٦] ... وقَبْلَكَ طالتِ الحَجَلَ الصُّقورُ

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٦.

(٢) في «تاريخ دمشق» ص٩٥ (تراجم النساء). والكلام بين حاصرتين من (م).

(٣) في (ب) و (خ) رجال إلى حرب، ورجال إلى أبي العاص، والصواب ما أثبتُّه، ولم يرد الكلام في (م). وينظر «تاريخ دمشق» ص٩٦ (تراجم النساء).

(٤) جمع تَوْأم، أي: تسوق توائم ....

(٥) أي: معاويةُ. وسياق الكلام يوهم أن الكاتب مروان.

(٦) في «القاموس»: القُروط، بالضم: بطون من بني كلاب، وهم إخوة: قُرط وقَرِيط وقُرَيْط.

فإنْ أَكُ في عِدادكُمُ قليلاً فإنّي في عدوّكم كثيرُ
بُغاثُ الطير أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصَّقْر مِقْلاتٌ[1] نَزُورُ[2]

يا مروان، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغَ ولدُ الحَكَم ثلاثين رجلاً اتَّخَذُوا مالَ الله دُوَلاً، ودينَ الله دَخَلاً، وعبادَ الله خَوَلاً»[3].

فكتب إليه مروان: إني أبو عَشَرة، وأخو عَشَرة، وعمُّ عَشَرة، والسلام[4].

وهذه رَمْلةُ هي التي كان يُشَبِّبُ بها وبأُختِها هندٍ عبدُ الرحمن بنُ حسان بن ثابت، وفيها يقول[5]:

أُؤَمِّلُ هنداً أن يموتَ ابنُ عامرٍ ورَمْلَةَ يوماً أنْ يُطَلِّقَها عمرُو

[وذكر ابن عساكر في «تاريخه» وقال[6]:] قدمَ عبدُ الرحمن [بن حسان بن ثابت] الشام، فأقام بباب معاوية مدة لم يؤذن له، فقال يزيد لأبيه: اقتُلْه. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّه قد شبَّبَ بأختي هند. قال: وما الذي قال؟ قال: فإنه يقول:

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ومَلِلْتُ الثَّواءَ في جَيْرونِ

فقال معاوية: وما علينا من طُول ليلِهِ [وحُزنه] ومللِه؟ قال: فإنه يقول:

ولذاك اغْتَرَبْتُ بالشام حتى ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظنونِ

فقال معاوية: وما علينا من ظنِّ أهلِه؟ قال: فإنه يقول:

هيَ زَهْراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوَّ اصِ صِيغَتْ من جَوْهرٍ مَكْنُونِ

---

(١) المِقْلاتُ: التي تضع واحداً ثم لا تحمل.

(٢) الشعر لمعوّد الحكماء (معاوية بن مالك) كما في «معجم الشعراء» للمرزباني ص٣١٠، وتمثَّل به معاوية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١١٧٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف كما ذكر محققوه، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٨: فيه غرابة ونكارة شديدة.

(٤) الخبر في «نسب قريش» ص١٠٩ ـ ١١٠، و«تاريخ دمشق» ص٩٦ ـ ٩٧ (تراجم النساء) دون قوله: ثم عدل مروان عن المدينة وكتب إليه... الأبيات، وقد جاءت هذه الفقرة في «أنساب الأشراف» ٤/ ٥٤، وجاء بعدها ٤/ ٥٥ صدرُ القصة المذكورة.

(٥) نُسب البيت في «نسب قريش» ص١١٣ وص١٢٨، و«تاريخ دمشق» في ترجمة كل من رملة وهند ص٩٧ و ٤٥٩ لعبد الرحمن بن الحكم.

(٦) الخبر بهذا السياق في «الأغاني» ١٥/ ١٠٩ ـ ١١٠، ولم أقف عليه بتمامه في «تاريخ دمشق»، وإنما فيه بعضه ٩/ ٩١٣ (مصورة دار البشير ـ ترجمة عبد الرحمن بن حسان). والكلام بين حاصرتين من (م).

قال: صدق. قال: فإنه يقول:

وإذا مـا نَـسَـبْـتَـهـا لـم تَـجِـدْهـا ... فـي سَـنـاءٍ مـن الـمـكـارم دُونِ

قال: صدق. قال: فإنه يقول:

ثـم خـاصَـرْتُـهـا إلـى الـقُـبَّـةِ الـخَـضْـ ... ـراءِ تـمـشـي فـي مَـرْمَـرٍ مَـسْـنُـونِ

قال: كذبَ، ولا كلُّ هذا. ثم ضحك وقال: ما الذي قال أيضاً؟ فقال:

قُـبَّـةٍ مـن مَـراجـلٍ[1] ضـربـوهـا ... عـنـد حـدِّ الـشـتـاء[2] فـي قَـيْـطُـونِ[3]

عـن يـسـاري إذا دخـلـتُ مـن الـبـا ... بِ وإن كـنـتُ خـارجـاً عـن يـمـيـنـي

تـجـعـلُ الـنَّـدَّ والأُلُـوَّةَ والـعُـو ... دَ صِـلاءً لـيـلاً[5] عـلـى الـكـانـونِ[4]

وقِـبـابٌ قـد أُشْـرِجَـتْ وبـيـوتٌ ... فَـرَشُـوهـا[6] بـالآسِ والـزَّرَجـونِ[7]

فقال معاوية: يا بنيّ إنَّ القتل لا يجبُ بهذا، والعقوبةُ تزيدُه حَنَقاً، فيزيدُ في قوله، ولكن نتجاوز عنه ونَصِلُه. فوصلَه معاوية: فكفَّ عن قوله.

[وقال أبو عُبيدة: هذه الأبيات لأبي دَهْبَل الجُمحي، واسمه وَهْب بن زَمْعة الشاعر، إسلامي، وله ديوان معروف.

وحكى ابنُ عساكر له قصة عجيبة[8]؛ قال: قدم الشام للغَزْو، فنزل دمشق، فجاءته امرأة وهو بجَيْرُون، فدفعت إليه كتاباً، فقرأه، فقالت: لو بلغتَ معي إلى هذا القصر، فقرأتَه على امرأة فيه؛ كان لك أجر. فبلغ معها القصر، ودخل، فأغلقت المرأة الباب، وجاءته امرأة جميلة، فدَعَتْه إلى نفسها، فأبى وقال: والله لا أفعلُه إلا حلالاً،

(١) في (ب) و (خ): من طرائف، ووقع في (م): من طرائف من مراجل. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٥، و«الأغاني» ١٥/ ١١٠. والمراجل: القدور النحاس. وسيذكره المصنف.

(٢) في (م): البناء.

(٣) القيطون: المخدع (الحجرة في البيت) وسيذكره المصنف.

(٤) النَّدُّ: ضرب من النبات يُتبخَّر به، والأُلُوَّة والعُود: طِيب يُتبخّر بهما كذلك.

(٥) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٥، و«الأغاني» ١٥/ ١١٠: لها.

(٦) في «أنساب الأشراف»: نظفوها، وفي «الأغاني»: نظفت.

(٧) أي: قضبان الكرم.

(٨) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٤٠ ـ ٤٩١ (مصورة دار البشير). وهذا الكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

فتزوَّجها، وأقام عندها زماناً طويلاً، فأيس منه أهله، فاقتسموا ماله إلا امرأته، فإنها لم تأخذ من ماله شيئاً، ولم تيئس منه، وحزنت عليه، فكانت تبكي عليه ليلاً ونهاراً.

فقال يوماً لامرأته الشاميَّة: إنك قد أَثِمْتِ فيَّ وفي ولدي، فإن رأيتِ أن تأذني لي حتى آتيَهم، وأُعطيكِ عَهْدَ الله أنني أرجع إليك، فأجَّلَتْه سنة، وأعطته مالاً كثيراً.

وقدم على أهله، فوجدهم قد اقتسموا ماله، ورأى حزن زوجته وما هي فيه، فدفع إليها المال، وقال لأولاده: واللهِ لا أُعطيكم منه شيئاً، أنتم ورثتُموني وأنا حيّ، فهو حظُّكم. ثم قال في زوجته الشامية هذه الأبيات:

صاح حيّا الإلهُ حيًّا ودُوراً ... عند أصلِ القناةِ من جَيْرُونِ
فبتلك اغتربتُ بالشام حتى ... ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظُّنونِ
ثم فارقتُها على خير ما كا ... نَ قرينٌ مفارقٌ لقرينِ
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوَّ ... اصِ صِيغَتْ من جوهرٍ مَكْنُونِ[1]

قال: ثم خرج أبو دَهْبَل إلى الشام، فبلغه وفاةُ المرأة الشاميَّة، فرجَع.

وقوله: المراجل، يعني القُدُور النُّحاس، وأما القَيْطُون، فهو المُخْدَع بلغة أهل مصر، وأما المَسْنُون؛ فهو المصوَّر].

قال عُمر بن شَبَّة[2]: شبَّبَ عبد الرحمن بنُ حسان برمْلَةَ وهندٍ ابنتي معاوية، فقال في رملة:

رَمْلَ هل تذكرين يومَ غزالٍ ... إذْ قَطَعْنا مَسِيرَنا بالتَّمنِّي
إذْ تقولين عَمْرَكَ اللهُ هل شي ... ءٌ وإنْ جَلَّ سوف يُسْلِيكَ عنّي
أَمْ هَلُ اطْمِعْتُ منكم بابن حسا ... نَ كما قد أراكَ أُطْمِعْتَ منّي

وبلغ يزيد، فقال لأبيه معاوية: ألا ترى إلى هذا العِلْج من أهل يثرب ينتهكُ أعراضَنا، ويُشَبِّبُ بأهلنا ونسائنا! فقال: ومن هو؟ قال: ابنُ حسان. وأنشد قوله. فقال معاوية: يا يزيد، ليست العقوبة من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة، فأمْهِلْ حتى يَقْدَمَ وفدُ الأنصار، وأَذْكِرْني به.

---

(١) قال ابن عساكر: رُوي هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان، وليس بصحيح.

(٢) الأغاني ١٥/١٠٦ ـ ١٠٨، وتاريخ دمشق ٩/٩١٣ ـ ٩١٤. (مصورة دار البشير).

فلما قدموا أخبره، فلما دخل على معاوية قال: ألم يبلغني أنك تُشَبِّبُ بِرَمْلَةَ؟ قال: بلى، ولو علمتُ أنَّ أحداً أشرفَ منها لشعري لذكرتُه. فقال له معاوية: وأين أنتَ من أختها هند؟ قال: وإن لها أختاً اسمُها هند؟! قال: نعم. قال: وإنَّما قَصَدَ معاويةُ أَنْ يُشَبِّبَ بهندٍ، فيُكذِبَ نفسَه.

فلم يرضَ يزيد بهذا، فأرسلَ إلى كعب بن جُعَيْل، فقال: أُهْجُ الأنصار. قال: فإنَّ لهم عندي يداً في الجاهلية ولا أُجازِيهم بالهجو، ولكن عليك برجل لا يخاف الله، ولا يستحيي من الناس. قال: مَنْ هو؟ قال: الأخطل. فأرسلَ إليه، فهجاهم، فقال:

وإذا نَسَبْتَ ابنَ الفُريعة[1] خِلْتَه ... كالجحش بين حمارة وحمارِ
لعن الإلهُ من اليهودِ عصابةً ... بالجِزْعِ بين صُلَيْصلٍ وصُؤارِ[2]
قومٌ إذا هَدَرَ العصيرُ رأيتَهمْ ... حُمْراً عيونُهمُ من المُسْطارِ[3]
خَلُّوا المكارمَ لستُمُ من أهلها ... وخُذُوا مَساحِيَكُم[4] بني النَّجَّارِ
ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللُّؤْمُ تحت عمائمِ الأنصارِ

ومدح معاوية، فقال:

تَسْمُو العيونُ إلى إمامٍ عادلٍ ... مُعْطَى المهابةِ نافعٍ ضرَّارِ
وتُرَى عليه إذا العيونُ لَمَحْنَهُ ... سيما الحليمِ وهيبةُ الجبَّارِ

وبلغ النعمانَ بنَ بشير، فدخل على معاوية فحسَرَ عن رأسه وقال: أيزعُم الأخطل أنَّ اللؤْمَ تحت عمائمنا؟! قال: أوقد فعل؟ قال: نعم. قال: لك لسانُه. فالتجأ إلى يزيد، فحماه، وقال للنعمان: أقِمِ البَيِّنَة. فقال: يا يزيد، وأيُّ بيِّنة أبينُ من قوله[5] ؟!

---

(١) الفُرَيْعة: أمّ حسَّان بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) كذا في (ب) و (خ) (والكلام ليس في م). وفي «معجم البلدان» ٣/ ٤٣٢: صؤار: موضع بالمدينة. وفي «الأغاني» ١٥/ ١٠٧: صِرار. بدل: صُؤار. وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة، وصُلَيْصل تصغير صُلْصُل؛ موضع على سبعة أميال من المدينة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٣٩٨ و ٤٢١. والجِزْع: منعطف الوادي.

(٣) بضم الميم: الخمر التي تصرع صاحبها، ويقال بالصاد أيضاً. ينظر «القاموس».

(٤) جمع مِسْحاة، وهي الأداة التي تُقْشر بها الأرض وتُجرف.

(٥) الخبر في «الأغاني» ١٥/ ١٠٦ ـ ١٠٨، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٩١٣ ـ ٩١٤ (مصورة دار البشير) ما عدا البيتين اللذين مدح الأخطل بهما معاوية. وهما في «العقد الفريد» ١/ ٣٩. وينظر «ديوان الأخطل» ص٣١٤. ولم يرد هذا الخبر في (م).

وأمَّا صفيَّة بنت معاوية؛ فتزوَّجها محمد بن زياد بن أبيه، وأمُّها أمُّ ولد[١].

وعائشة بنت معاوية لأمِّ ولد؛ دخلَ عمرو بن العاص على معاوية[٢] وبين يديه ابنتُه عائشة وهي صغيرة، فقال: مَنْ هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: ريحانةُ قلبي عائشة. فقال: انْبِذْها عنك، فوالله إنهنَّ ليُكْثِرْنَ[٣] الأعداء، ويُقَرِّبْنَ البُعداء، ويُورِثْنَ الضَّغائن. فقال معاوية: لا تقُلْ هذا، فواللهِ ما مرَّض المرضى، ولا ندَبَ الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلُهنَّ، ورُبَّ ابنِ أخت قد نفع خالَه[٤].

وقد أشار إلى ما قال معاويةُ حِطَّان[٥] بن المُعَلَّى ـ وقيل: المعلَّى بن الحمل[٦] ـ العَبْدي من شعراء الحماسة حيث يقول:

أنزلني الدهرُ على حُكْمِهِ ... من شامخٍ عالٍ إلى خفضِ
وعالني[٧] الدهرُ بوَفْرِ الغِنى ... فليس لي مالٌ سوى عِرْضِي
أبكانيَ الدَّهْرُ ويا رُبَّما ... أضحكني الدهرُ بما يُرْضي
لولا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطا ... جُمعن[٨] من بعضٍ إلى بعضِ
لكان لي مضطربٌ واسعٌ ... في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنَّما أولادُنا بيننا ... أكبادُنا تمشي على الأرضِ

وتزوَّج معاوية نائلة بنت عُمارة الكلبية، فقال لميسون: اذْهبي فانظري إلى ابنة عمِّك، فذهبت وعادت، فقال: كيف رأيتِها فقالت: جميلة كاملة، ولكن رأيتُ تحت سرَّتها خالاً، لَيُوضَعنَّ رأسُ زوجِها في حِجْرها. فطلَّقها معاوية، فتزوَّجت حَبِيبَ بن

(١) تاريخ دمشق ص٢٠٠ (تراجم النساء).
(٢) نُسب الخبر في (م) لابن عساكر، ولم أقف عليه فيه؛ وهو بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ٤٣٨.
(٣) في «العقد الفريد»: ليلدن.
(٤) في (م) و «العقد»: نفعه خالُه.
(٥) في «شرح الحماسة» ١/ ٢٨٥: خطاب.
(٦) كذا في (ب) و (خ). وفي «العقد الفريد» ٢/ ٤٣٨: المعلّ الطائي.
(٧) في «شرح الحماسة»: وغالني، بالغين المعجمة؛ قال الشارح: يروى: عالني، ومعناه: غلبني، ويُروى غالني، ومعناه: أهلكني بارتجاع عواريِّه من المال، واستلاب ما كنتُ وُفِرْتُ به من العتاد.
(٨) في «شرح الحماسة»: رُدِدْن.

مَسْلَمَة الفِهْريّ[١]، ثم مات، فتزوَّجَها النُّعمان بنُ بشير الأنصاري، فقُتل، ووُضع رأسُه في حِجْرها[٢].

[وقال أبو اليقظان: لم يكن عند معاوية أحظى في نسائه من فاختة بنت قَرَظة، وجرت لها واقعة عجيبة، قال:] كان معاوية جالساً على سريره، فدخل بعض الأعراب عليه، فلم يعبأ به، وشُغل عنه، وكان الرجل قد أتى من شُقَّة بعيدة، فنام خلف السرير، وخرجَ معاوية إلى صلاة العصر[٣] والرجلُ نائمٌ على حاله، فلم يزل إلى الليل، وعاد معاوية بعد العشاء الآخِرة، وأوقدوا السُّرُج، ففتح الرجلُ عينه، فرأى السُّرُج فأُسقِطَ في يده، وأيقَن بالهلاك، وقال في نفسه: جئتُ أبغي الخير، فوقعتُ في الشَّرّ، الآن أُؤخَذُ فيقال: إنما جاء ليغتال معاوية. فلَبَدَ تحت السرير.

ولبس معاوية مُلاءةً حمراء، وكان شيخاً عظيم البطن، واستدعى فاختة ابنة قَرَظة [زوجته] وكانت أحظى نسائه، فجاءت، فرمى عنها ثيابَها، وبقيت في درع رقيق يبينُ منه جميع بدنها، فقال لها: عزمتُ عليك إلا نزلتِ فمشَيْتِ. فنزلت ومشَتْ، وقال لها: أقبِلي. فأقبلت. ثم قال لها: أدْبِري. فأدبرت [ثم قال: أقبلي. فأقبلت، حتى فعلت ذلك مراراً] والأعرابيّ ينظرُ إليها، فالتفتَتْ وإذا عينا الرجل تَزْهَرَانِ من تحت السرير [فصاحت وقالت: افتَضَحْتُ. وقعدَتْ، وتقنَّعت بيديها، فقام معاوية إليها فقال: مالكِ، ويحك؟! قالت: رجلٌ تحت السرير][٤] فأدخل معاوية يده، فأخذ برأسه، فأخرجه وقال: ما قِصَّتُك؟! فأخبره خبرَه، فقال: لا بأس عليك وهو يضحك ويحادثُه حتى طلع الصباح، فوصلَه، وأرسلَ إلى فاختة وقال لها: [إن] الرجل الذي استخلاك البارحة لابدَّ له من صلة. فوصَلَتْه، وانصرف [الرجل] داعياً بعد أنْ كان [أيقن بالهلاك، و] يئس من الحياة.

وبلغ الأحنفَ بنَ قيس فقال: إلى ههنا ـ واللهِ ـ انتهى الحِلْم ومكارمُ الأخلاق.

---

(١) مختلف في صحبته، والراجح ثبوتها لكنه كان صغيراً، وله ذكر في الصحيحين. قاله ابن حجر في «التقريب». وتحرف حبيب في (ب) و(خ) إلى: حندب، ولم يرد الخبر في (م).

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق ص ٤٠٣ (تراجم النساء).

(٣) في «تاريخ دمشق» ١٩ / ٣٠٩ (مصورة دار البشير): المغرب.

(٤) ما بين حاصرتين في هذا الموضع من «تاريخ دمشق» ١٩ / ٩٠٣، وفي المواضع الأخرى من (م).

ذكر قُضاته وعُمَّاله وحُجَّابه وكُتَّابه:

قد ذكرنا أنه استقضى أبا الدرداء، فلما ماتَ استقضى فَضالة بن عُبيد الأنصاري، فلما مات استقضى أبا إدريس الخَوْلاني، واسمه عائذ الله بن عبد الله.

وأما عُمَّالُه: فمات وعلى الكوفة النعمان بن بشير، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد، وعلى المدينة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، وعلى مكَّة عمرو بن سعيد، وعلى شرطته الضحَّاك بن قيس الفِهْرِي، وعلى كتابته سرجون مولاه، وعلى حجابته سعد مولاه، وقَنْبَر[١] مولاه.

قدم على معاوية أبو مريم الأزدي، فأقام ببابه مدَّة لا يصل إليه، فلما أذِن له دخل عليه فقال: يا معاوية، ما أتيتُك لحاجة، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ وَلَّاه الله من أمر المسلمين شيئاً، فاحتجَبَ عن حاجتهم وفاقتهم؛ احتجَبَ الله عنه يومَ فَقرِه إليه وحاجته وفاقته، ومن أغْلَقَ بابَه دون ذوي الفقر والحاجة أغلق الله عن فقره وحاجته أبوابَ السماء» فبكى معاوية وقال لسعد مولاه: قد خلعتُ هذا من عنقي وجعلتُه في عنقك[٢].

وكان نقش خاتمه: لا حول ولا قوة إلا بالله، لكل عمل ثواب[٣].

ذكر مسانيده:

أسندَ عن رسول الله ﷺ مئةً وثلاثةً وستين حديثاً[٤]؛ أُخرج له في الصحيحين ثلاثةَ عشرَ[٥]، وأَخرج له الإمام أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه سبعةً وثلاثين حديثاً[٦].

وروى معاوية عن أخته أمِّ حَبِيبة رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ، وعن جماعة من الصحابة، منهم عمر، وعثمان رضي الله عنهما.

---

(١) ويقال أيضاً: قُتَيْر، وبهذا الاسم ترجم له ابن عساكر في «تاريخه» ١/٥٩ (طبعة مجمع دمشق) وينظر «توضيح المشتبه» ٧/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٢) تاريخ دمشق ١٩ / ١٦٤ ـ ١٦٥ (مصورة دار البشير ـ ترجمة أبي مريم الأزدي).

(٣) تاريخ دمشق ٦٨ / ٢٤٩ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة معاوية).

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ص٣٦٤.

(٥) المتفق عليه منها أربعة، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة. التلقيح ص٤٠٠.

(٦) ينظر «مسند» أحمد (١٦٨٢٨) إلى (١٦٩٣٩) و (٢٣٦٨٨).

وروى عنه أبو ذرّ، وأبو سعيد الخُدري، وجَرير بن عبد الله، ووائل بن حُجْر، وعبد الله بن عُمر، وابنُ عباس وابن الزُّبير، والنُّعمان بن بشير، وأبو أُمامة أسعد بن سهل، والصُّنابحيّ، وأبو إدريس الخَوْلاني، وابنُ المسيّب، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وابن جُبير[١]، في آخرين.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه[٢]: حدَّثنا ابنُ هشام [حدثنا جعفر] حدثنا يزيد بن الأصم قال: سمعتُ معاويةَ بنَ أبي سفيان يقول على المنبر: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين، ولا تزال عِصابةٌ من المسلمين يُقاتلون على الحقّ، ظاهرين على مَنْ ناوأهم إلى يوم القيامة». أخرجاه في الصحيحين[٣].

وعن ابن عباس قال: كنتُ ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ، فتواريتُ منه خلف باب. قال: فَحَطَأَني حَطْأَةً[٤] وقال: «اذْهَبْ، فادْعُ لي معاوية». قال: فجئتُ وهو يأكل، فأخبرتُ رسول الله ﷺ فقال: «لا أشبع الله بطنه». انفرد بإخراجه مسلم[٥].

هانئ بن عروة المُرادي

كان عُبيد الله بنُ زياد قد سبقَ الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة، وبنى تلك الليلة بأمّ نافع بنت عُمارة بن عقبة بن أبي مُعَيْط، فلما أصبح بَلَغَه خبر مسلم بن عقيل، وأنه عند هانئ، فأحضر هانئ بن عروة، فدخل عليه وبيده عصاً يتوكَّأ عليها وهو ابن تسع[٦]

---

(١) تحرفت في (ب) و (خ) إلى: جعفر: وهو محمد بن جُبير بن مطعم، ينظر «تاريخ دمشق» ٦٨/ ١٥٨ (طبعة مجمع دمشق)، و«تهذيب الكمال» ٢٨/ ١٧٨ .

(٢) المسند (١٦٨٤٩)، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) أخرجه مسلم من طريق ابن هشام ـ واسمه كثير ـ في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، بعد الحديث (١٩٢٣). وأخرجه البخاري (٧١) من طريق آخر عن معاوية رضي الله عنه بنحوه في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

(٤) أي: دفعني بكفّه. وذكر ابن الأثير في «النهاية» أنه يُروى أيضاً: فَحَطَاني حَطْوَة، بغير همز. وقال أيضاً: وقيل: لا يكون الحَطْءُ إلا ضربة بالكفّ بين الكتفين.

(٥) في هذه الرواية اختصار مُخلّ. والعبارة في «صحيح مسلم» (٢٦٠٤): قال: فجئت، فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: «اذهب فادع لي معاوية». قال: فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: «لا أشبع الله بطنه».

(٦) في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ٥٩: بضع.

وتسعين سنة، فسلَّم على ابن زياد، وقال: أكل الأمير العيش[١] وحده، فقال له ابنُ زياد: تركتَني أتمتَّع بعُرْس وقد ضممتَ إليك عدوَّنا. وذكر بمعنى ما ذكرنا[٢]. وقيل له: مُدَّ عنقَك. فقال: ما كنتُ لأُعينكم على نفسي. فضربوا عنقه.

وروى عن عليّ عليه السلام. وروى عنه ابنُه يحيى بن هانئ[٣].

أبو بَرْزَة الأسلمي

واسمُه عبد الله بن نَضْلَة بن عبد الله، وقيل: نَضْلَة بن عبد [الله][٤]، من الطبقة الثالثة من المهاجرين.

أسلم قديماً، وشهدَ مع رسول الله ﷺ فتح مكَّة.

ومن مسانيده: قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[٥]: حدثنا أبو سعيد، حدَّثنا شدَّاد أبو طلحة، حدَّثنا جابر بن عَمرو أبو الوازع، عن أبي بَرْزَة قال: قلتُ: يا رسول الله، مُرْني بعملٍ أعملُه. قال: «أمِطِ الأذى عن الطريق، فهو لك صدقة».

قال: وقتلتُ عبد العُزَّى بن خَطَل وهو متعلّق بأستار الكعبة[٦].

وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ لي حوضاً ما بين أَيْلَةَ إلى صنعاء، عرضُه كطوله، فيه مِيزَابانِ يَنْبُعانِ[٧] من الجنَّة، أحدُهما من وَرِق، والآخرُ من ذهب، أحلى من العسل، وأبردُ من الثلج، وأبيضُ من اللَّبَن، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمأْ حتى يدخلَ الجنة، فيه أباريقُ عددَ نجومِ السماء».

---

(١) في المصدر السابق: العرس.

(٢) في خبر مسلم بن عقيل.

(٣) تنظر ترجمته في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ٥٨ ـ ٦٠، وينظر تفصيل الخبر في «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٤٧ ـ ٣٦٨ والكلام ليس في (م).

(٤) لفظة الجلالة من ترجمته من «طبقات» ابن سعد ٩/ ٩ و ٣٦٩ ـ ٣٧٠ وفي «التهذيب»: نضلة بن عُبيد، وذكره ابن سعد أيضاً.

(٥) مسند أحمد (١٩٨٠٢).

(٦) بعدها في «المسند»: وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «الناس آمنون غير عبد العزّى بن خَطَل».

(٧) في «المسند»: يَنْتَعِبان، وهما بمعنى.